الباب الثالث

صيانة الشرع للمرأة

obeikandl.com

كرم الإسلام المرأة تكريما عظيماً وأعطاها سائر الحقوق المشروعة لها ولقد سوى بين المرأة والرجل في العبادات والتكليف والثواب والعقاب فالأصل في الأدلة الشرعية التكليفية التسوية بين الجنسين وعدم التفريق بينهما إلا ما خصه الدليل بجنس الرجل كالإمامة الكبرى والصغرى والجهاد ونحوها من العبادات التي تليق بالرجل وتناسب طبيعته .

ينظر الشارع إلى المراة حين اختلاطها بالآخرين إلى كونها في الأصل عورة ومحلاً للفتنة قال الرسول ﷺ : «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[١] وقال ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»[٢] وقال ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٣] وقال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾[٤] والشواهد على هذا الأصل كثيرة .

وبناء على هذا الأصل فإن الشارع جعل ضوابط وآداباً وأحكاماً للمرأة في تصرفاتها وسلوكياته مع الآخرين درأ للفتنة وتحقيقاً للفضيلة وحفظاً لها من الرذيلة يتمثل ذلك المنهج في الأمور الآتية:

(١) **الخلوة**: نهى المرأة عن الخلوة بالأجنبي قال الرسول ﷺ : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[٥] .

(٢) **السفر**: نهى المرأة عن السفر بلا محرم قال الرسول ﷺ : «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»[٦] .

(٣) **مس المرأة**: حرم الشرع مس المرأة الأجنبية ومصافحتها قال الرسول ﷺ : «**إني لا أصافح النساء**»[٧] .

(٤) **صوت المرأة**: نهى المرأة عن الخضوع بقولها وترقيق كلامها قال تعالى: ﴿ فَلَا

---

(١) رواه الترمذي وحسنه .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) آل عمران ١٤ .
(٥) رواه أحمد .
(٦) متفق عليه .
(٧) مسند أحمد٢٦٣١٢ .

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾[١] .

(٥) **الحجـــاب**: أمـر الشارع المرأة بالحجاب قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[٢] .

(٦) **التـــبرج والسفور**: نهـى المـرأة عن التبرج والسفور قال الرسول ﷺ : «**ونساء كاسيات عاريات ممحلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٣] .

(٧) **القـــرار بالبيت**: رغب المرأة بالقرار في بيتها وحث عليه قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ ﴾ .

تبرج الجاهلية الأولى قالت عائشة: (وما كانت أحدانا تخرج إلا لحاجة)[٤] .

(٨) **نظـــر المـــرأة**: أمـر الـشارع المـرأة بغـض بـصرها عـن الرجال إلا لحاجة قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٥] .

(٩) **الاختلاط**: نهى المرأة عن الاختلاط بالرجال قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٦] .

(١٠) **العـــبادات القولية الجهرية**: أجمع الفقهاء على أن الأذان لا تتولاه المرأة ولا يـصح مـنها بـل هـو من خصائص الرجال وقد نصوا أيضاً على أن المرأة لا تجهر بالتلبية في الحج عند حضرة الرجال بل تسرها وكذلك لا تجهر بالقراءة في الصلاة عند الأجانب .

(١١) **الإمامة في الصلاة**: مـن شروط صحة الإمامة بالرجال أن يكون الإمام رجلا فلا تصح إمامة المرأة بالرجال عند جميع الفقهاء وإنما يباح لها أن تؤم النساء من جنسها .

(١٢) **الجهـــاد**: أسـقط الشارع الجهاد عن المرأة ولم يوجبه عليها بل هو من وظائف الـرجل المختصة به وإنما يباح لها الخروج للجهاد عند الحاجة كالتداوي ونحوه وفق الضوابط الـشرعية قالت عائشة: قلت يا رسول الله على النساء جهاد قال: «**نعم عليهن جهاد لا قتال**

---

(١) الأحزاب: ٣٢ .
(٢) الأحزاب: ٥٩ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخاري .
(٥) النور: ٣١ .
(٦) الأحزاب: ٥٣ .

فيه الحج والعمرة»[١].

(١٣) **نكـــاح المرأة**: لا يـصح للمرأة أن تزوج نفسها أو تزوج غيرها من النساء بل يشترط لصحة نكاحها وجود الولي قال رسول: «**لا نكاح إلا بولي**»[٢].

(١٤) **الـــرمل والهرولة في العبادة**: لا يـشرع للمرأة الرمل في الطواف والهرولة في السعي قال ابن عبد البر: وأجمعوا أن ليس على النساء رمل في طوافهن بالبيت ولا هرولة في سعيهن بين الصفا والمروة.

(١٥) **اتـــباع الجنائز**: نهـيت المـرأة عن إتباع الجنائز قالت أم عطية (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا)[٣].

(١٦) **زيـــارة القـــبور**: نهـيت المـرأة عن زيارة القبور فقد لعن رسول الله زائرات القبور[٤].

فـيجب علـى المـرأة المـسلمة الامتـثال بهـذه الأحكـام والرضا بها وترك ما سواها قال تعـالى: ﴿ وَمَـا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْـرِهِمْ﴾ [الأحـزاب: ٣٦] وقال تعالى ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥].

ولا عـبرة بالنـية والقـصد الحسن في هذه المسائل مع ترك الامتثال بالشرع لأن الشريعة بنـيت علـى أحكـام الظاهـر وروعـي في ذلك تحقيق المصالح ودرء المفاسد والعبرة بالغالب والـنادر لا حكـم لـه ولأن القلـوب ضـعيفة والـشهوات غالـبة وربما استغل سذاجة المرأة وحـسن ظـنها أصـحاب القلوب المريضة وأهل الفجور فأوقعوا بها، ولأن الإنسان لا يأمن على نفسه الفتنة والواقع يصدق ذلك ويؤيده.

وإذا كانـت المـرأة وهـي قاصـدة العبادة في أطهر البقاع مأمورة بالحجاب والستر وترك الـزينة والطـيب ومخالطـة الـرجال واجتـنابهم في الطـرقات فكيف يكون حالها وهي قاصدة أماكن الفتنة.

ومـع وضـوح هـذا الأصـل العظـيم في ديننـا وكثـرة أدلته وانعقاد الإجماع عليه وعمل

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة وأصله في البخاري.
(٢) رواه الخمسة وهو مذهب أكثر الفقهاء.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه البخاري.

المسلمين عليه طيلة القرون نجد أناسا من بني جلدتنا يخالفون ذلك ويجعلون المرأة في سلوكها كالرجل ويعطونها الحرية المطلقة في الخروج والعمل والسفر واللباس والعلاقات و . . .

ومن الملاحظ أن كثيراً من هؤلاء يتظاهرون بتحكيم الشريعة ادعاءً وزورا ولكن إذا تأملنا في أقوالهم وجدناهم بعيدون كل البعد عن منهج الإسلام ويتنصلون دائما من أحكام الشرع ويصرحون بمخالفته بحجج واهية وأعذار ساقطة تارة بالقول إن هذه الأمور من جراء العادات والتقاليد أو من تأثير الغلو والتشدد أو من فقه أهل الصحراء أو مقيدة لحرية المرأة المشروعة لها ونحو ذلك من الظنون الكاذبة ، مع أن عامة هذه المسائل مما أجمع عليه فقهاء المسلمين .

ويجب أن نفرق في هذا المقام بين من يخالف في بعض أفراد المسائل مع تعظيمه للشرع وحرصه على الفضيلة وحفظ المرأة وبين من ينازع في أكثر المسائل ويقدح في أصل الشريعة ويسعى إلى تهوين الأمور دائما وتسهيل الرذيلة فالأول مجتهد معذور في خطأه والثاني مفرط مأزور داخل في الوعيد متبع لهواه[١] .

والفقهاء في اختلافهم في بعض المسائل مراعون لهذا الأصل محققون لمقاصد الشرع وإنما اختلافهم لاختلاف أعراف الناس وتأثيرها في مسائل الاجتهاد ودعاء الحاجة أو الضرورة في بعض الأحوال وهذا اختلاف محمود بشرط صدوره عن المؤهلين شرعا من أهل الاجتهاد الذين يميزون بين المسائل ولهم نظر في روح الشريعة وعرفوا بحسن القصد أما أحاد الناس ومثقفوهم فلا يسعهم الخروج عن جادتهم ويلزمهم أن يوكلوا الأمر لهم قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] .

* * * * *

الفصل الأول :
من صور تكريم الإسلام للمرأة

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه ؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، وخير الناس خيرهم لأهله ؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع ، والرعاية ، وإحسان التربية ، وهي في ذلك الوقت قرة العين ، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها .

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة ، التي يغار عليها وليها ، ويحوطها برعايته ، فلا يرضى

---

(١) خالد سعود البليهد عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة .

أن تمتد إليها أيدى بسوء ، ولا ألسنة بأذى ، ولا أعين بخيانة .

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله ، وميثاقه الغليظ ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار ، وأمنع ذمار ، وواجب على زوجها إكرامها ، والإحسان إليها ، وكف الأذى عنها .

وإذا كانت أماً كان برُّها مقروناً بحق الله - تعالى - وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله ، والفساد في الأرض .

وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها ، وإكرامها ، والغيرة عليها .

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة .

وإذا كانت جدة ، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها ، وأحفادها ، وجميع أقاربها ؛ فلا يكاد يرد لها طلب ، ولا يُسَفَّه لها رأي .

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى ، وغض البصر ونحو ذلك .

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية ، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة .

ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك ، والإجارة ، والبيع ، والشراء ، وسائر العقود ، ولها حق التعلم ، والتعليم ، بما لا يخالف دينها ، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى .

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال ، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه .

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها ، ويحفظ كرامتها ، ويحميها من الألسنة البذيئة ، والأعين الغادرة ، والأيدي الباطشة ؛ فأمرها بالحجاب والستر ، والبعد عن التبرج ، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب ، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها .

ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها ، وإحسان معاشرتها ، والحذر من ظلمها ، والإساءة إليها .

بل ومن المحاسن - أيضاً - أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق ، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة ؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح ، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق .

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها ، سيئاً في معاشرتها ، فلها أن تفارقه

على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع لـه شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومـن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحـق الكامـل في أن تـشكو حالهـا إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكـرم داخل في قولـه - تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[1].

ولـيس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

قال النبي - ﷺ -: «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها**»[2].

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته - وهي كنفسه - مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لا بد لـه من الاجتماع والاتصال الخاص بها.

ولا يفهـم ممـا مـضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعني أن الضرب مذموم بكل حال.

لا، لـيس الأمـر كـذلك؛ فـلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمـة تـشريعاته مـن أعـداء الإسلام ومطاياهم ممن نبتوا من حقل الغرب، ورضعوا من لبانه، ونشأوا في ظله.

هـؤلاء الـذين يتظاهـرون بـتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون في هذا الحكم، ويتأففون منه، ويعدونه إهانة للمرأة.

ومـا نـدري مـن الـذي أهان المرأة؟ أهو ربّها الرحيم الكريم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

أم هـؤلاء الـذين يـريدونها سـلعة تمتهن وتهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟

إن هـؤلاء القـوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز، ولا يستنكفون أن تنشز المـرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله - وهو رأس البيت - مرؤوساً، وتصر على نشوزها،

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وتمشي في غلوائها ، فلا تلين لوعظه ، ولا تستجيب لنصحه ، ولا تبالي بإعراضه وهجره .

تُرى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تَمَرَّدْنَ؟

لعل الجواب تضمنه قول الشنفرى الشاعر الجاهلي حين قال مخاطباً زوجته:

إذا مـــا جـــئت مـــا أهْـــاك عـــنه ::: فلـــم أنكـــر علـــيك فطلقـــيني

فأنـــت الـــبعلُ يومـــئذٍ فقومـــي ::: بـــسوطك - لا أبـــا لـــك - فاضربيني

نعم لقد وجد من النساء - وفي الغرب خاصة - من تضرب زوجها مرة إثر مرة ، والزوج يكتم أمره ، فلما لم يعد يطيق ذلك طلَّقها ، حينئذٍ ندمت المرأة ، وقالت: أنا السبب ؛ فلقد كنت أضربه ، وكان يستحيي من الإخبار بذلك ، ولما نفد صبره طلَّقني!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت ، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله - تعالى -: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾[1] .

وكما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع: «**ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح**» .

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي ، والانتقام ، والتعذيب ، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها .

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب ، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب ؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه ، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها ؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها .

ب- أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير ؛ فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد ، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر ؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم .

ج- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاجُ والتأديب والزجر لا غير ؛ فيراعي

---

(١) النساء: ٣٤ .

التخفيف فيه على أحسن الوجوه ؛ فالضرب يتحقق باللكزة ، أو بالمسواك ونحوه .

د- أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه .

هـ- ألا يكسر عظماً ، ولا يشين عضواً ، وألا يدميها ، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد .

و- ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز .

فالضرب - إذاً - للمصلحة لا للإهانة ، ولو ماتت الزوجة بسبب ضرب الزوج لوجبت الدية والكفارة ، إذا كان الضرب لغير التأديب المأذون فيه .

أما إذا كان التلف مع التأديب المشروع فلا ضمان عليه ، هذا مذهب أحمد ومالك .

أما الشافعي وأبو حنيفة فيرون الضمان في ذلك ، ووافقهم القرطبي - وهو مالكي .

وقال النووي - رحمه الله - في شرح حديث حجة الوداع السابق: (وفي هذا الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب ، فإن ضربها الضرب المأذون فيه فماتت وجبت ديتها على عاقلة الضارب ، ووجبت الكفارة في ماله) .

ومن هنا يتبين لنا أن الضرب دواء ينبغي مراعاة وقته ، ونوعه ، وكيفيته ، ومقداره ، وقابلية المحل ، لكن الذين يجهلون هداية الإسلام يقلبون الأمر ، ويلبسون الحق بالباطل .

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج ، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة ؛ فإذا وجدت امرأة ناشز أساءت عشرة زوجها ، وركبت رأسها ، واتبعت خطوات الشيطان ، ولم ينجع معها وعظ ولا هجران - فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحال؟

هل من كرامته أن يهرع إلى مطالبة زوجته كل ما نشزت؟ وهل تقبل المرأة ذلك ، فينتشر خبرها ، فتكون غرضاً للذم ، وعرضة للَّوم؟

إن الضرب بالمسواك ، وما أشبهه أقلُّ ضرراً على المرأة نفسها من تطليقها الذي هو نتيجة غالبة لاسترسالها في نشوزها ، فإذا طُلِّقت تصدع بنيان الأسرة ، وتفرق شملها ، وتناثرت أجزاؤها .

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخف حسناً جميلاً ، كما قيل:

وعند ذكر العمى يستحسن العورُ .

فالضرب طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى ، ولا ينفع معها الجميل ، ولا تفقه الحجة ، ولا تقاد بزمام الإقناع .

ثم إذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة، فضرب زوجته وهي لا تستحق، أو ضربها ضرباً مبرحاً - فالدين براء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها.

هذا وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح، بل قد يعجبها من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع فإنه لا يستقيم أمرها إلا بالضرب.

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه في الوقت ذاته؛ فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب أن يكون قواماً عليها إلا حين يقهرها عضلياً.

وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذه الصنف من النساء موجود، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة؛ ليستقيم على الطريقة.

والذين يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك؛ فتعالوا نطالع الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية.

أ - نشرت مجلة التايمز الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي[١].

ب - ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تُقْدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي[٢].

ج - دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م أشارت إلى ٧٩٪ يقومون بضرب النساء وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن.

وكانت الدراسة قد اعتمدت على استفتاء أجراه د. جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعةكارولينا الجنوبية بين عدد من طلبته.

---

(١) انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص٤٥.

(٢) انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع ص٤٦.

وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عالٍ جداً، فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة فكيف بمن هو دونهم تعليماً؟

د - وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن ٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقاً مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب.

وقال إفان ستارك معد هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تصاب بها النساء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات، والسرقة، والاغتصاب مجتمعة.

وقالت جانيس مور - وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل؛ فالأزواج يضربون نسائهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضربات أخرى بالكراسي، والسكاكين، والقضبان المحماة.

وأشارت إلى أن الأمر المرعب هو أن هناك نساء أكثر يُصبن بجروح وأذى على أيدي أزواجهن ولكنهن لا يذهبن إلى المستشفى طلباً للعلاج، بل يُضمِّدن جراحهن في المنزل.

وقالت جانيس مور: إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة، وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن[1].

هـ - وجاء في كتاب ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام البسيوني ص٣٦ - ٦٦ ما يلي:

- ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب الطلاق.

- ٧٧٢ امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساوباولو البرازيلية وحدها عام١٩٨٠م.

- يتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً.

---

(١) انظر من أجل تحرير حقيقي ص١٦ - ٢١ وانظر المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ص٥٦، ٥٧.

- أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النساء هناك - أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة - يتعرضن لسوء المعاملة كل عام .

- في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية .

- تتعرض امرأة لسوء المعاملة في أمريكا كل ثمان ثوان .

- مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنوياً ، ومليونا فرنسية .

- ٦٠ ٪ من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل - هي نداءات استغاثة من نساء تُساء معاملتهن .

وبعد فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات ؛ لعلمنا بأنه ليس بعد الكفر ذنب .

ولكن نفراً من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نسب إلى الغرب وما جرى مجراه ؛ فها هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة ؛ فهل من مدكر؟

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة ::: فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن أنقذها من أيدي الذين يزدرون مكانها ، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها ؛ فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها ، وينبه على رفعة منزلتها ، ثم جعل للرجل حق رعايتها ، وإقامة سياج بينها وبين ما يخدش كرامتها .

ومن الشاهد على هذا قوله - تعالى -: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[1] فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل ؛ وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبره فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها ، والقدرة على دفاع الأذى عنها .

وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها في قوله - تعالى -: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وقوله: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[2] .

بل إن الله - عز وجل - قد اختص الرجل بخصائص عديدة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجليلة .

---

(١) البقرة: ٢٢٨ .

(٢) النساء: ٣٤ .

ومن تلك الخصائص ما يلي:

أ - أنه جُعل أصلها، وجعلت المرأة فرعه، كما قال - تعالى -: ﴿وَخلق منْهَا زَوْجَهَا﴾[١].

ب - أنها خلقت من ضلعه الأعوج، كما جاء في قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلَع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيراً**»[٢].

ج - أن المرأة ناقصة عقل ودين، كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن**»[٣].

قالت امرأة: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين**».

فلا يمكن - والحالة هذه - أن تستقل بالتدبير والتصرف.

د - نقص قوَّتها، فلا تقاتل ولا يُسهَم لها.

هـ - ما يعتري المرأة من العوارض الطبيعية من حمل وولادة، وحيض ونفاس، فيشغلها عن مهمة القوامة الشاقة.

و - أنها على النصف من الرجل في الشهادة - كما مر - وفي الدية، والميراث، والعقيقة، والعتق.

هذه بعض الخصائص التي يتميز بها الرجل عن المرأة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -: (ولا ينازع في تفضيل اللهِ الرجلَ على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر؛ فهو أكبر دماغاً، وأوسع عقلاً، وأعظم استعداداً للعلوم، وأقدر على مختلف الأعمال).

وبعد أن استبان لنا عظم شأن القوامة، وأنها أمر يأمر به الشرع، وتقره الفطرة السوية، والعقول السليمة - فهذا ذكر لبعض ما قاله بعض الغربيين من الكتاب وغيرهم في شأن القوامة؛ وذلك من باب الاستئناس؛ لأن نفراً من بني جلدتنا لا يقع الدليل موقعه عندهم إلا إذا صدر من مشكاة الغرب.

---

(١) النساء: ١.

(٢) الترمذي.

(٣) مسند أحمد ٥٠٩١.

أ - تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول: إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية.

ب - الزعيمة النسائية الأمريكية (فليش شلافي) دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

ج - وفي كتاب صدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها: (إن المرأة الحديثة مُغَفَّلة؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم؛ فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق؛ لأننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية؛ للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل.

والرجال ليسوا أغبياء؛ فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده.

د - وتقول طبيبة نفسية أمريكية: (أيما امرأة قالت: أنا واثقة بنفسي، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها.

هذا ما يقول العقلاء من أولئك القوم، فماذا يقول العلم الحديث في ذلك الشأن؟

لقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهْمَ محاولات المساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل؛ فقد أثبت الطبيب (د. روجرز سبراي) الحائز على جائزة نوبل في الطب - وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في المشاعر وردود الأفعال، والقيام بنفس الأدوار.

وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (ييل) الأمريكية بحثاً طريفاً رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة معينة، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معاً.

وفي هذا دليل - كما يقول أستاذ جامعة بيل - أن نصْفَ مُخِّ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مُخُّ المرأة إلا بشطريه .

وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة في التفكير ، وحل المشكلات .

وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكيولوجي في جامعة الستر البريطانية حيث يقول: إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات .

وأضاف لين: (أنه يجب الإقرار بالواقع ، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجماً من دماغ الإناث ، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء) .

وقال: إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفي ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى .

وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله - سبحانه - أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال - عز وجل -: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾[1] .

فكل ميسر لما خلق له ، وكل يعمل على شاكلته .

ولا يفهم من خلال ما مضى أن ضعف المرأة ونقصها الخَلْقي يعد من مساوئها بل هو من أعظم محاسنها .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: (ألا ترى أن الضعف الخِلْقيّ والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب .

قال جرير:

إن العيون التي في طرفها حور ::: قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يَصْرَعْن ذا اللب حتى لا حراك به ::: وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال ابن الدمينة:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ::: ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
فلم يعتذرْ عُذْرَ البريء ولم تزل ::: به سكتة حتى يقال مريب

فالأول تشبيب بهن بضعف أركانهن ، والثاني بعجزهن عن الإبانة في الخصام كما قال

(١) آل عمران: ٣٦ .

- تعالى -: ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[1] ولهذا التباين في الكمال والقوة بين النوعين صح عن النبي - ﷺ - اللعن على من تشبه منهما بالآخر .

وقال - رحمه الله - بعد أن ذكر بعض الأدلة على فضيلة الذكر على الأنثى: فإذا عرفت من هذه أن الأنوثة نقص خلقي ، وضعف طبيعي - فاعلم أن العقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته ، القوي بطبيعته ؛ ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع ، ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضر .

* * * * *

المبحث الأول :
حكمة التعدد

ومن إكرام الإسلام للمرأة:

أن أباح للرجل أن يعدد ، فيتزوج بأكثر من واحدة ، فأباح له أن يتزوج اثنتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً ، ولا يزيد عن أربع بشرط أن يعدل بينهن في النفقة ، والكسوة ، والمبيت ، وإن اقتصر الزوج على واحدة فله ذلك .

هذا وإن في التعدد حكماً عظيمة ، ومصالح كثيرة لا يدركها الذين يطعنون في الإسلام ، ويجهلون الحكمة من تشريعاته ، ومما يبرهن على الحكمة من مشروعية التعدد مايلي:

١ - أن الإسلام حرم الزنا ، وشدَّد في تحريمه ؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي تفوق الحصر والعد ، والتي منها: اختلاط الأنساب ، وقتل الحياء ، والذهاب بالشرف وكرامة الفتاة ؛ إذ الزنا يكسوها عاراً لا يقف حده عندها ، بل يتعداه إلى أهلها وأقاربها .

ومن أضرار الزنا: أن فيه جناية على الجنين الذي يأتي من الزنا ؛ حيث يعيش مقطوع النسب ، محتقراً ذليلاً .

ومن أضراره: ما ينتج عنه من أمراض نفسية وجسدية يصعب علاجها ، بل ربما أودت بحياة الزاني كالسيلان ، والزهري ، والهربس ، والإيدز ، وغيرها .

والإسلام حين حرَّم الزنا وشدَّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة ، والسكن ، والطمأنينة ألا وهو الزواج ، حيث شرع الزواج ، وأباح التعدد فيه كما مضى .

---

(١) الزخرف: ١٨ .

ولا ريب أن منع التعدد ظلم للرجل وللمرأة ؛ فمنعه قد يدفع إلى الزنا ؛ لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال في كل زمان ومكان ، ويتجلى ذلك في أيام الحروب ؛ فَقَصْر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج ، وذلك يسبب لهن الحرج ، والضيق ، والتشتت ، وربما أدى بهن إلى بيع العرض ، وانتشار الزنا ، وضياع النسل .

٢ - أن الزواج ليس متعة جسدية فحسب: بل فيه الراحة ، والسكن ، وفيه - أيضاً - نعمة الولد ، والولد في الإسلام ليس كغيره في النظم الأرضية ؛ إذ لوالديه أعظم الحق عليه ؛ فإذا رزقت المرأة أولاداً ، وقامت على تربيتهم كانوا قرة عين لها ؛ فأيهما أحسن للمرأة: أن تنعم في ظل رجل يحميها ، ويحوطها ، ويرعاها ، وترزق بسببه الأولاد الذين إذا أحسنت تربيتهم وصلحوا كانوا قرة عين لها؟ أو أن تعيش وحيدة طريدة ترتمي هنا وهناك؟! .

٣ - أن نظرة الإسلام عادلة متوازنة: فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل ، والنظرة العادلة تقول بأنه لابد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل .

إذا كان الأمر كذلك ؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن؟ ولماذا لا يُنظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في مقتبل عمرها؟ ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج؟ .

أيهما أفضل للمرأة: أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى ، فتطمئن نفسها ، ويهدأ بالها ، وتجد من يرعاها ، وترزق بسببه الأولاد ، أو أن تقعد بلا زواج البتة؟ .

وأيهما أفضل للمجتمعات: أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة؟ أو ألا يعدد أحد ، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد؟ .

وأيهما أفضل: أن يكون للرجل زوجتان أو ثلاث أو أربع؟ أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات ، أو أكثر أو أقل؟ .

٤ - أن التعدد ليس واجباً: فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون ؛ فطالما أن المرأة تكفيه ، أو أنه غير قادر على العدل فلا حاجة له في التعدد .

٥ - أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل: وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة ؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت ، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام ، أو أسبوعين كل شهر .

وفي النفاس مانع - أيضاً - والغالب فيه أنه أربعون يوماً ، والمعاشرة في هاتين الفترتين

محظورة شرعاً ، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى .

وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج ، وهكذا .

أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر ، والعام ؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى سلوك غير مشروع .

٦ - قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد: فيُحْرَمُ الزوج من نعمة الولد ، فبدلاً من تطليقها يبقي عليها ، ويتزوج بأخرى ولود .

وقد يقال: وإذا كان الزوج عقيماً والزوجة ولوداً ؛ فهل للمرأة الحق في الفراق؟ .

والجواب: نعم فلها ذلك إن أرادت .

٧ - قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً: كالشلل وغيره ، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج ؛ فبدلاً من تطليقها يبقي عليها ، ويتزوج بأخرى .

٨ - قد يكون سلوك الزوجة سيئاً: فقد تكون شرسة ، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها ؛ فبدلاً من تطليقها يبقي الزوج عليها ، ويتزوج بأخرى ؛ وفاء للزوجة ، وحفظاً لحق أهلها ، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها .

٩ - أن قدرة الرجل على الإنجاب أوسع بكثير من قدرة المرأة: فالرجل يستطيع الإنجاب إلى ما بعد الستين ، بل ربما تعدى المائة وهو في نشاطه وقدرته على الإنجاب .

أما المرأة فالغالب أنها تقف عن الإنجاب في حدود الأربعين ، أو تزيد عليها قليلاً ؛ فمنع التعدد حرمان للأمة من النسل .

١٠ - أن في الزواج من ثانية راحة للأولى: فالزوجة الأولى ترتاح قليلاً أو كثيراً من أعباء الزوجية ؛ إذ يوجد من يعينها ويأخذ عنها نصيباً من أعباء الزوج .

ولهذا ، فإن بعض العاقلات إذا كبرت في السن وعجزت عن القيام بحق الزوج أشارت عليه بالتعدد .

١١ - التماس الأجر: فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها ، ولا راع ، فيتزوجها بنيَّة إعفافها ، ورعايتها ، فينال الأجر من الله بذلك .

١٢ - أن الذي أباح التعدد هو الله - عز وجل -: فهو أعلم بمصالح عباده ، وأرحم بهم من أنفسهم .

وهكذا يتبين لنا حكمة الإسلام ، وشمول نظرته في إباحة التعدد ، ويتبين لنا جهل من يطعنون في تشريعاته .

المبحث الثاني:
ومن إكرام الإسلام للمرأة

أن جعل لها نصيباً من الميراث؛ فللأم نصيب معين، وللزوجة نصيب معين، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُفَصَّل في مواضعه.

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل، وقد يظن بعض الجهلة أن هذا من الظلم؛ فيقولون: كيف يكون للرجل مثل حظ الأنثيين من الميراث؟ ولماذا يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل؟.

والجواب أن يقال: إن الذي شرع هذا هو الله الحكيم العليم بمصالح عباده.

ثم أي ظلم في هذا؟ إن نظام الإسلام متكامل مترابط؛ فليس من العدل أن يؤخذ نظام، أو تشريع، ثم ويستقيم الحكم.

ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة: أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج، وجعل مهر الزوجة واجباً على الزوج - أيضاً -.

ولنفرض أن رجلاً مات، وخلَّف ابناً، وبنتاً، وكان للابن ضعف نصيب أخته، ثم أخذ كل منهما نصيبه، ثم تزوج كل منهما؛ فالابن إذا تزوج مطالب بالمهر، والسكن، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته.

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه على زوجها، أو على نفقة بيتها أو على أولادها؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها، مع مهرها من زوجها، مع أنها لا تُطَالب بالنفقة على نفسها وأولادها.

أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هو العدل بعينه إذاً؟

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، وربما كان ذلك على حساب الشرف، ونبيل الأخلاق.

وأين إكرامُ الإسلام للمرأة، وجَعْلُها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار، وتعدها مخلوقاً نجساً؟.

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات

والإعلانات؟ .

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة ؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت ؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهي من البشر أو لا؟! .

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها ، ورعاية زوجها ، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها ، أو شبابها ، أو هرمها ، وفي حال فقرها أو غناها ، أو صحتها أو مرضها .

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام - فإنما هو بسبب القصور والجهل ، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين ، والوزر في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص .

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه ؛ لعلاج الخطأ .

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة ، وصيانة ، ومودة ، ورحمة ، ورعاية ، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية .

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني ، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة ، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية ، وأنها لابد أن تكون دمية يعبث بها كل ساقط ؛ فذلك سر السعادة عندهم .

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها .

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن ، وإبداء الزينة ، وكشف الصدور ، والأفخاذ ، وما هو أشد؟! .

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟! .

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة ، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟! .

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة ، والجدة ، والعجوز؟ .

إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجئ ، ودور العجزة والمسنين ؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها .

وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ينظر إليه من زاوية واحدة دون ربطه بغيره، بل ينظر إليه من جميع جوانبه؛ فتتضح الصورة.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها - كما سبق - لأنها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية - فزعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام.

هذه نبذة يسيرة، وصور موجزة من تكريم الإسلام للمرأة.

* * * * *

المبحث الثالث:
من يظلم المرأة؟!!

حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، والله لا يحب الظالمين، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، وكم في هذا الكون من ظلم وظلمات، ودعونا نقف اليوم على جانب من الظلم يقع على فئة كبيرة في المجتمع.

وهذا الظلم قديم يتجدد، لكن بصور وأنماط تختلف في شكلها وربما اتفقت في مضمونها. إنه ظلم المرأة. فقد ظلمتها الجاهليات القديمة، وتظلمها الجاهليات المعاصرة. تُظلم المرأة من قبل الآباء، والأزواج وتُظلم من قبل الصويحبات والحاسدات، بل وتُظلم المرأة من قبل نفسها أحياناً. تظلمها الثقافات الوافدة، والعادات والتقاليد البالية، تُظلم

المرأة حين تمنع حقوقها المشروعة لها، وتُظلم حين تعطى من الحقوق ما ليس لها.

إنها أنواع وأشكال من الظلم لابد أن نكشف شيئاً منها، ونخلص إلى عظمة الإسلام في التعامل معها وضمان حقوقها، والاعتدال في النظرة إليها.

أجل إن ظلم المرأة قديم في الأديان والشعوب والأمم المختلفة فهي عند الإغريق سلعة تباع وتشترى في الأسواق، وهي عند الرومان ليست ذات روح، فهم يعذبونها بسكب الزيت على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيل ويسرعون بها حتى تموت، والمرأة عند القدماء من الصينيين من السوء بحيث يحق لزوجها أن يدفنها وهي حية ولم تكن المرأة عند الهنود ببعيد عن ذلك، إذ يرون الزوجة يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية، على موقد واحد، وكذا الفرس فللرجل حق التصرف فيها بأن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة. ولم تكن حال المرأة بأسعد من ذلك عند اليهودية المحرفة وكذا النصرانية، فهي عند اليهود لعنة لأنها أغوت آدم، وإذا أصابها الحيض فلا تُجَالس ولا تُؤاكل، ولا تلمس وعاءً حتى لا يتنجس!، كما أعلن النصارى أن المرأة باب الشيطان وأن العلاقة معها رجسٌ في ذاتها[1].

ومن جاهليات العجم إلى جاهلية العرب، حيث كانوا يتشاءمون بمولدها حتى ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾[2]، بل شهد القرآن على وأدهن وهن أحياءَ ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[3] كانت تُظلم وتُعضل في ميراثها وحقوقها، وكانت ضمن المتاع الرخيص للأبِّ، أو الزوج حق التصرف فيها.

ومن الجاهليات القديمة إلى الجاهليات المعاصرة حيث ظُلمت المرأة باسم تحريرها، سُلبت العبودية لخالقها واستعبدها البشر، واعتدوا على كرامتها، وفتنوها وأخرجوها من حضنها الدافئ، وحرموها لذة الأمومة وعاطفة الأبوة، فهامت على وجهها تتسول للذئاب المفترسة، وربما كدحت وأنفقت حتى تظل مع عشيقها، وربما سارع للخلاص منها لينضم إلى معشوقة وخادنة أخرى.؟! جاء الإسلام لينصف المرأة ويصلها بخالقها، ويرشدها إلى هدف الوجود وقيمة الحياة، وليصف لها حياة السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

---

(١) ظلم المرأة/ محمد الهبدان: ٢١ - ٢٤.

(٢) النحل: من الآية٥٩.

(٣) التكوير: ٨، ٩.

يَعْمَلُونَ﴾[١] ونزل القرآن ليعلن ضمان حقوق المرأة ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[٢]، وأكد المصطفى ﷺ على حقوق المرأة، بلَ حَرّج فقال: «اللهم إني أحرج حقَ الضعيفَين اليتيم والمرأة»[٣].

وقام المسلمون بأرقى تعامل عرفته البشرية مع المرأة، بل أشرقت حضارتهم على الأمم، وتعلمت منهم الشعوب الأخرى كرامة المرأة، ويعترف أحد الغربيين (كوغوستاف لوبون)بذلك حين يقول: "إن الأوروبيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة، فالإسلام إذن، لا النصرانية هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع، وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء. وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظا نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى"[٤].

وإذا تشدق المبهورون اليوم بحضارة الغرب وقيمه، وحطوا من قيم حضارتهم جاءت شهادة المنصفين من الغرب تكذب هذا الادعاء وتثبت أن إصلاح المرأة في الغرب إنما تم بعد احتكاك المسلمين في أسبانيا (الأندلس) بالغرب. وفي هذا يقول (مارسيل بوازار) "إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوروبا - عبر أسبانيا - احترام المرأة"[٥] إننا في فترات المراهقة الثقافية ننسى أصولنا، وننبهر بما عند غيرنا، ولكن اعترافات القوم تعيد إلى بعضنا التوازن، نعم لقد ظُلم ديننا، من بعض أبناء جلدتنا، وزهد البعض في ثقافتنا وقيمنا، وشوه وضع المرأة عندنا من قبل أعدائنا.

وشاء الله أن يُقام الشهود المنصفون من القوم على أنفسهم ومن سار في ركبهم، فهذه امرأة غربية تكشف الحقيقة بممارسة سلوكية واقعية حين تقول زوجة السفير الإنجليزي في تركيا: يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب، وهو ما أود تكذيبه، فإن مؤلفي الروايات في أوروبا لا يحاولون الحقيقة ولا يسعون للبحث عنها، ولولا أنني في تركيا اجتمعت إلى النساء المسلمات ما كان إلى ذلك من سبيل. فما رأيته يكذب كل التكذيب أخبارهم عنها. إلى أن تقول ولعل المرأة المسلمة هي الوحيدة التي لا تعنى بغير حياتها

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) آل عمران: من الآية١٩٥.

(٣) رواه ابن ماجه ٣٦٧٨ والبيهقي٥/ ٣٦٣ وصحح إسناده النووي.

(٤) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل/ ٤٣١.

(٥) قالوا عن الإسلام/ ٤٠٩.

البيتية ، ثم إنهن يعشن في مقصورات جميلات [١] .

هكذا وتظل المرأة المسلمة معززة مكرمة موقرةً لها الحقوق ما بقي الإسلام عزيزاً ، ويظل المسلمون أوفياء للمرأة ما داموا مستمسكين بالإسلام . وكلما تغرَّب الإسلام ، أو انحرف المسلمون . عاد الظلم للمرأة بصورةٍ أو بأخرى . لا فرق بين هضم حقوقها . أو تلمس حقوقاً ليست لها لتشغلها عن حقوقها ووظائفها النسوية الأساسية . وهذه صور من ظلم المرأة للوعي بها واجتنابها ، فهي تُظلم حين تُستخدم سلعةً رخيصة للدعاية والإعلان ، وتُظلم المرأة حين تُزجُّ في عمل لا يتلاءم مع أنوثتها . أو يُزجُّ بها في مجتمع الرجال ، تُظلم المرأة حين تُضرب بغير حق ، أو تعضل لأدنى سبب ، أو يتحرش بها جنسياً ، أو تغتصب ، أو تستغل في التجارة الجسدية ، أو بحرمانها من الحياة الزوجية السعيدة ، تُظلم المرأة حين يسلب حياؤها ويُعتدى على قيمها ويستهان بروحها وأشراقها . وتخدع بزينة عابرة ، وأشكال وأصباغ زائلة ، وتُظلم المرأة حين يُقَصِّر الولي أو المجتمع في تربيتها ، وتُظلم المرأة حين تعرض للأمراض المختلفة كالزهري والسيلان والإيدز . ونحوها .

تُظلم المرأة حين يتأخر زواجها فتعنس ، أو تمنع من الحمل والولد فتفلس ، أو تزوج بغير إذنها وبمن لا ترغب ، تُظلم المرأة حين يُسخط منها حين تولد ، أو تُلعن وتسب حين تكبر ، تُظلم المرأة حين يغالى في مهرها فيتجاوزها الُخطَّاب إلى غيرها أو تلزم بزوج لا ترغبه ، وقد تجبر على زوج فاسد الدين أو سيئ الخلق ، تُظلم المطلقة في ولدها ، وقد تُظلم المرأة من أقرب الناس لها ، تُظلم المرأة بضرتها ، وتُظلم المرأة بإفشاء سرها لاسيما في أمر الفراش و"إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها" [٢] .

تُظلم المرأة حين يعتدى على مالها بغير حق أو يعتدى على حجابها وحيائها باسم التحضر . وثمة صور أخرى لظلم المرأة حين تقصر في طاعة الله ، وترتكب المحرمات . وتضيع الأوقات وتسفل في همتها . وتكون الأزياء والموضة غاية مرادها . تُظلم المرأة حين تختزل حقوقها في قيادة . أو يُزجُّ بها في خلطةٍ بائسة ، أو تجد نفسها في كومة من الفضائيات الساقطة . أو تجر لمواقع عنكبوتية مشبوهة . تُظلم المرأة حين تهمش رسالتها الخالدة وتُصرف عبوديتها عن الخالق الحق إلى عبادة الأهواء والشهوات ، وكم هو وادٌ للمرأة حين يوحى لها أن نماذج القدوة ساقطاتُ الفكر ، عاشقات الشهوة والشهرة .

---

(١) السابق/ ٤٢٥/ ٤٢٦ .

(٢) رواه مسلم/ ١٤٣٧ .

وإن من أعظم ظلم المرأة أن يُلبس عليها الحق بالباطل ويستبدل الحسن بالقبيح، ويصور لها الحياة والعفة بالرجعية والتطرف على حين يصور لها السفور والاختلاط بالمدنية والانفتاح والتحضر؟ وكم تُظلم المرأة حين يقال لها أن من العيب أن يكفلها أبوها، أو ينفق عليها زوجها، ويلقى في روعها أن (القوامة) القرآنية ضعف وتبعية، وإن عليها أن تكد وتكدح لتتخلص من نفقة الآخرين وقوامتهم.

نعم لقد أصبح العامل الاقتصادي كلّ شيء في ذهن أدعياء تحرير المرأة ولذا تراهم يطالبون لها بأي عمل ويقحمونها في كل ميدان فتظل المسكينة تلهث متناسية أعباءها الأخرى وواجباتها الأسرية المقدسة فلا هي أمٌّ حانية ولا مربيةٌ ناجحة.

حتى إذا ذبلت الزهرة والتفتت الكادحة في - العمل بلا حدود - إلى المحصلة النهائية وجدت نفسها في العراء فلا هي أفلحت في التربية وبناء الأسرة ولا هي خلَّفت جاهاً يذكر وحشمة تشكر، وعادت تندب حظها كما ندبت نساء الغرب والشرق قبلها، وإذا أمكن قبول ظروف الغارقات في الوحل فلا يمكن بحال قبول ظروف امرأة مسلمة قال لها خالقها: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1].

ومن الظلم الواقع على المرأة إلى الظلم الملبس المرأة، فثمة دعوى وشبهات يخيل لبعض النساء أنهن مظلومات فيها وليس الأمر كذلك. لكنه تشويه وتزوير وتضليل وخداع ومن ذلك:

١ - الدعوى بأن بقاء المرأة في بيتها ظلم لها، وهذه مغالطة تكشفها نصوص الوحيين فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، ومن السنة قال عليه الصلاة السلام: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**»[2] فدل قوله: «**قد أذن لكن**» على أن الأصل البقاء في البيت، والخروج إنما يكون لحاجة، ويشهد بجدواها الغربيون ويقول أحدهم (جاك ريلر): "مكان المرأة الصحيح هو البيت، ومهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً"[3].

٢ - الادعاء بقصر مسمى عمل المرأة خارج منزلها، وعدم اعتبار عملها في سنزلها عملاً يستحق الإشادة والتقدير، وليس الأمر كذلك بل اعتبر الشارع الحكيم عملها في بيتها شرفاً

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) رواه البخاري (٥٢٣٧).
(٣) قالوا عن الإسلام/ ٤١٥.

وكرامة ، وكم نغفل عن مدونات السنة ومصطلحاتها ، وفي صحيح البخاري عن عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ - وفي رواية: أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهِمَا السَّلام - أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ - فَذَكَرَتْ ذلك لِعَائِشَةَ فلما جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ له فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا أي استمرا على ما أنتما عليه فجلس بيننا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ على خير مما هو لكما من خادم إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ فهذا خير لكما من خادم**»[١] .

فهل تستطيع امرأة أن تقول إنها خير من فاطمة؟ . أو يقول رجل إنه خير لهذا العمل النسوي البيتي .

٣ - ومن دعاوى الظلم على المرأة القول بأن التعدد ظلم لها ، وكم شوهت وسائل الإعلام بمسلسلاتها الهابطة ، وأعمدتها الجانحة ، صورة التعدد المشروع ، والتعدد فوق أنه شرع رباني ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فيه فهو مضبوط بالعدل: ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾[٢] . والتعدد عوض عن الطلاق في حال عقم المرأة أو مرضها ، أو عدم قناعة الزوج بها . فلا خيار في هذه الحالات أو نحوها . إلا الطلاق أو التعدد؟ على أن أمر التعدد الإسلامي عاد مطلباً لجمعيات الغرب ، وفي أمريكا أكثر من جمعية يجوب أعضاؤها نساء ورجال مختلف الولايات الأمريكية داعين في محاضراتهم للعودة لنظام التعدد[٣] .

وعاد نساء الغرب يدعين للتعدد ، وتقول: أستاذة في الجامعة الألمانية: إن حل مشكلة المرأة في ألمانيا هو في إباحة تعدد الزوجات[٤] ، ويعترف أحد الغربيين الذي هداهم الله للإسلام بأن التعدد في البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية ، فلنخرج الخشبة التي في أعيينا أولاً ، ثم نتقدم لإخراج

---

(١) مسند أحمد ٢٥٣٤٠ .

(٢) النساء: من الآية٣ .

(٣) عن ظلم المرأة - محمد الهبدان/ ٧٨ .

(٤) ظلم المرأة - محمد الهبدان/ ٧٨ .

القذى من أعين غيرنا.[١] وفي الوقت الذي يؤيد فيه غربي آخر تعدد الزوجات عند المسلمين معتبراً إياه قانوناً طبيعيا وسيبقى ما بقي العالم، هو في المقابل ينتقد النظام الغربي ويبين الآثار المترتبة على الإلزام بزوجة واحدة. ويقول (إيتين دينيه): إن نظرية التوحيد في الزوجة التي تأخذ بها المسيحية ظاهراً، تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي: الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين.

٤ - ويزعمون كذلك أن دية المرأة نصف دية الرجل حيفٌ عليها، وينسون ويتناسون حكمة العليم الخبير بحاجة الرجل للمال للنفقة الواجبة عليه. ومع ذلك فهذه الدية للمرأة في حال قتل الخطأ، مثل دية الرجل كما جاء في الآية الكريمة، وفيها أن الرجل والمرأة سواء، وقد قيل حكمة ذلك: كذلك لما كانت الدية مواساة لأهل المقتول وتعويضاً لهم، فالخسارة المادية في الأنثى أقل منها عند الرجل، إذ الرجل يعمل ويوفر دخلا لأسرته أكثر، فخسارته أعظم من المرأة فكانت الدية في حقه أعظم[٢].

* * * * *

المبحث الرابع:
ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟

إن من أعظم النعم التي كرم الله بها عباده المؤمنين أن شرع الله لهم شريعة قويمة وملة حنيفية، تنظم الإنسان والكون والحياة، تخاطب القلب والعقل والروح، وتحقق رغبات البدن دون تمادي إلى شهوانية حيوانية، أو دون حرمان الرهبانية كما تمارسه النصرانية والنيرفا الهندوكية، وهذا الدين هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤]. ومن محاسن هذه الشريعة القويمة تكريم المرأة وحمايتها والإحسان إليها، خلاف ما عليه الجاهلية الأولى من وأد البنات، وحرمان النساء من الميراث، واعتبارهن من سقط المتاع، فجاء هذا الدين حاكماً بأن: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي

---

(١) قالوا عن الإسلام/ ٤٢٧.
(٢) المرأة بين الجاهلية والإسلام: ١٦١ عن ظلم المرأة للهبدان ٨١.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) الأنعام: ١٥٣.

عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١] .

قائلاً: «**النساء شقائق الرجال**»[٢] آمراً: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[٣] حاثاً: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٤] ولا غرو في ذلك لأن هذه المرأة هي أساس المجتمع ، حيث هي الأم الحنون ، والزوجة الصالحة ، والأخت الفاضلة ، فمن مدارسهن الحقيقية يتخرج الأبطال ، وتتربى الأجيال ، فهي المحور الحقيقي التي عليها صلاح المجتمع أو فساده .

من هنا كانت برامج وخطط المفسدين عبر قرون من السنين موجهة إلى هذا الكيان القوي الطاهر لتحطيمه وزعزعته ، والقضاء على معاني الفضيلة فيه ، ومن تأمل جهود أولئك في عدد من البلاد الإسلامية المجاورة رأى عملية التدرج في إفساد المرأة وخلطها بالرجل ، ونبذها لحجاب الظاهر والباطن ، وكانت في يوم من الأيام مضرب المثل في الحشمة والعفة والستر والحياء .

وهكذا خطوات الشيطان وعملائه في البلاد الإسلامية ، ولا يسلم من هؤلاء بلد أو مكان ، سنة الله تعالى في التدافع والصراع بين الحق والباطل ، ولم نسلم في هذه البلاد الطيبة ممن هم من بني جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يتباكون على وضع المرأة عندنا وظلمها ، وعزلها عن شؤون الحياة ، ومنعها من العمل ، نعم الظلم والاحتقار وأكل الأموال وحقوق المرأة ممنوع شرعاً ، ومرفوض طبعاً ، ولكن ليس هذا حقيقة مطلبهم وغايتهم ، ولكنهم يريدون أن يرسخوا في المجتمع أنموذج أسيادهم من الغربيين في إزالة الفوارق والفواصل والاعتبارات مطلقاً بين الرجل والمرأة ، وكم ظلت مؤتمرات المرأة والإسكان في الأعوام الماضية تركز على ذلك ، وتطالب المجتمع الدولي بأسره بذلك ، ولكن كيف نسي هؤلاء خصوصية هذا البلد ، وتناسوا احتكام الجميع هنا إلى شريعة رب العالمين ، التي جاءت بالهدى وهم يريدونها سيلاً وهوى ، ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن

---

(١) (البقرة: ٢٢٨) .

(٢) والحديث أخرجه: أبو داود في سننه ، وأحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه ، وأبو يعلى ، والدارمي ، والبيهقي في السنن الكبرى ونص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما فقال: ((يغتسل)) . وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولا يجد البلل فقال: ((لا غسل عليه)) فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك عليها الغسل قال: ((نعم إنما النساء شقائق الرجال)) . وقد قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - : فتح الباري - ابن حجر [جزء ١ - صفحة ٢٥٤] (والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خص) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٥٣) ، ومسلم برقم (١٤٨٦) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٨٩٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢٦٦) .

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴾[١] .

والتفريق بين المتماثلين ، هم يريدون الجمع بين المتباينين ، هم من نصيب الشيطان المفروض الذي تعهد أن يضلهم ويمنيهم ، ويأمرهم بتغيير خلق الله ، أما المؤمنون فهم عباد الله ، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[٢] .

إن من نعمة الله علينا أن هيأ لنسائنا وبناتنا أجواء تربوية ، وميادين تعليمية بمناهج مميزة ، تحوطها الفضيلة ، وتحرسها تعاليم الشريعة ، على مسمع ومرأى من أهل العلم والغيرة ، منذ عقود من السنين على شيء من النقص والانحسار ، ولكنه على أية حال أنموذج فريد ، وتجربة نوعية تفردت بها هذه البلدة في استقلال تعليم المرأة ، وكانت محط إعجاب وإكبار للكثير من الشعوب الإسلامية ، ولا ينكر ذلك إلاَّ جاهل أو حاسد أو صاحب هوى .

ومنذ زمن بعيد وتعليم المرأة عندنا يواجه حملة شعواء من أهل الصحافة ودعاة التحرير ، الذين أعملوا أقلامهم ، وأنشبوا مخالبهم بذلك الكيان التعليمي الرائد[٣] .

يقول الأستاذ الداعية محمد قطب: في كتابه تحرير المرأة: وهو يصور لنا حالة إحدى البلاد الإسلامية في التبرج والسفور ، ومن أين كانت بدايته ، وتلك البلاد أصبحت أسوة في التغريب والانحلال لكثير من بلاد المسلمين اليوم .

يقول: (وأصبح من المناظر المألوفة أن ترى الأمهات متحجبات والبنات سافرات ، وكانت الأداة العظمى في عملية التحويل هذه هي التعليم من جهة ، والصحافة من جهة أخرى . .) .

ثم يقول: (فأما التعليم فقد اقتضى معركة طويلة حتى تقرر على المستوى الابتدائي أولاً ، ثم المستوى الثانوي ، ثم المرحلة الجامعية) .

ويقول: (وسقط الحجاب تدريجياً عن طريق بنات المدارس ، ولو خرجن عن تقاليد المجتمع المسلم دفعة واحدة ومن أول لحظة ، هل كان يمكن أن يقبل أحد من أولياء الأمور أن يرسل ابنته إلى المدرسة لتتعلم؟ كلاً بالطبع ، ولتكن الخطة على الأسلوب المتبع في عملية التحويل كلها بطيء ولكنه أكيد المفعول منعاً لإثارة الشكوك) .

---

(١) النساء: ٢٧ .

(٢) الإسراء: ٦٥ .

(٣) محمد بن عبد الله الخضيري .

إن المنادين بتحرير المرأة لم يفقهوا بل لم يسمعوا صيحات النساء في الغرب، وفي اليابان اللواتي يطالبن بالعزل التام عن الرجال، والعودة إلى عش الزوجية، أين هؤلاء من تجنيد الشباب للعمل؟ وتوفير فرص العمل لهم؟. وتحريرهم من رق البطالة والضياع؟ ومن أولى بالعمل عند تزاحم الفرص وندرتها النساء أم الرجال؟!.

إن أولئك الكتاب المستغربين لا يتكلمون بلسان المجتمع ولا يعبرون عن آرائه، لأنه مجتمع مسلم محافظ، رضي باللّه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، رضي بالعلماء والغيورين أن يكونوا حماة للفضيلة، حراساً لقواعد المجتمع من المعلمات والمتعلمات، وحينما جربت الدول الأخرى، ووضعت ثقتها وزمام أمرها بغير أهل الصلاح والغيرة، وصل أمرها وحالها إلى ما هي عليه الآن، فهل يرضى مسلم بذلك؟!.

إن نظام تعليم الفتاة في هذا البلد الطيب ظل مضرب المثل بحمد اللّه، وذلك نعمة كبرى، حيث الخصوصية والحشمة، والآداب الشرعية والنظم المرعية، فهل يصح أن نهدر هذه النعمة، ونلغي تلك الخصوصية، التي لها ما بعدها من الآثار التي علمتنا الأحداث تدرجها ومرحليتها، كاختلاط الجنسين من البنين والبنات، بدءاً بالمراحل الابتدائية الأولى، وكذلك التقارب في أنشطة الجنسين، وإقحام الفتاة في مناشط وأندية وبرامج تتنافى مع جبلتها وطبيعتها، وكذلك الدعوة إلى تغيير المناهج وتوحيدها، وكذلك وهو الأهم تهميش دور العلماء في الإشراف على تعليم المرأة.

وهذا ما يؤكد علينا جميعاً الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نناصح من ولاه الله أمرنا، قال النَّبِيّ ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم** - ومنها - **مناصحة من ولاه اللّه أمركم**»[1].

فالواجب هو دفع منكرات الإعلام كل بما يستطيع، بالحوار الهادئ، والمناصحة المشفقة، والكتابة المؤصلة، والردود العلمية، ومن لا يستطيع هذا ولا ذاك فليبتعد عن الشر وأهله، ومواطنه المقروءة والمرئية لئلا يغتر وينجر فيضل ويضل، واللّه وحده الهادي إلى سواء السبيل.

ولا ننسى أهمية التربية على الفضيلة في البيوت والمدارس، هي واجبات كل مسلم وكل مسؤول، خاصة في مثل هذا العصر الذي يحارب فيه الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، ويطالب الغرب النصراني بتغيير المناهج وطمس هويتها، فهل في هذه المرحلة

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٦٥٣)، وأحمد في مسنده برقم (١٣٣٧٤).

يحلوا لبعضنا الاسترخاء والتكاسل، وعدم الجدية أو عدم الشعور بخطورة المرحلة التي نعيشها، فلا ترى منه حسن قوامة ولا حسن رعاية للمرأة والأسرة كافة، إن اليهود يربون صغارهم على كره المسلمين والاستعداد لقتالهم وإخراجهم من فلسطين، فماذا نحن وهمومنا مع صغارنا وكبارنا من البنين والبنات؟

فحين يكون الانتماء لهذا الدين، وحينما يكون الحجاب والفضيلة عقيدة راسخة، فإن ذلك لا يسقط مهما سلط عليه من أدوات التحطيم والتحجيم والتغريب، إن الذين سقط عندهم الحجاب، هم أولئك الذين اعتبروه من العادات والتقاليد، حينها لم يصمدوا أمام رياح التغيير، لأن التقاليد الخاوية من الروح عرضة للسقوط إذا اشتد عليها الضغط، فهل مدافعتنا الآن عن مكتسباتنا التربوية والتعليمية والأخلاقية، دفاع عن عادات وتقاليد، حينها سنخسر الرهان، ونهزم في معركة المبادئ كما خسر غيرنا.

أم أننا ننطلق من ثوابت شرعية، ونعطي القضية أبعاداً دينية وقيمية، حينها نعمل ولا نكل ونسعى ولا نمل.

فالعقيدة الحية المتمكنة من القلوب لا تقهر، ولا يتخلى عنها أصحابها مهما وقع عليهم من الضغوط، وإن الاستعلاء بالإيمان والعلم الشرعي يقي الناس من الذوبان في عدوهم، ولو انهزموا أمامه في المعارك الميدانية، والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق باللّه تعالى يجعل المسلم فرداً ومجتمعاً ودولة، يشعر بالاكتفاء الذاتي، بعيداً عن الابتذال والتسول من عالم القيم المنحطة، وما كان الغزو الفكري يتسرب إلى نفوس المسلمين لو كانوا على إسلام صحيح، ولما جرنا الغرب إلى أمركة الحياة والمجتمع، واعتبار ذلك حتمية حقيقية كما يصوره اليهود للبشرية، ليدفعوها في المسار الذي أغرقوها به، وحين انجرفت أوربا في تيار التطوير اليهودي فذلك لخوائها من العقيدة الصحيحة التي تصلح للحياة [1].

أما نحن المسلمين فنحن قادرين وجديرين أن نصمد ولا نهزم في معارك القيم والأخلاق، وهذا هو ما سجله التاريخ عن أمة الإسلام في سالف عصورها، فهل نبقى على تلك الصفة ليتحقق لنا ذلك المجد، نعم يتحقق لنا ذلك بإذن اللّه إذا وفينا بالشرط الرباني، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [2].

---

(١) محمد قطب / تحرير المرأة.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

ولا تكتفوا بالدعاء وحده وتدعوا العمل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾[١] ونسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم[٢].

* * * * *

المبحث الخامس:
وشهد شاهد من أهلها!!!

في سياق رؤيتنا الحضارية لواقع المرأة الغربية من الداخل. سنترك دائما أصحاب الشأن يتكلمون وسنترك الأرقام تفصح عن الحقيقة، فربما ننشئ حوار حضارات حقيقيًا، ليس فقط بين فكرين أو منهجين وإنما أيضًا بين واقعين.

سنتوقف عند العنف الأسري ضد المرأة في الغرب، حيث سيظهر هذا الدراسة أن المرأة المهانة ليست امرأة أفغانستان ذات البرقع، ولا امرأة جزيرة العرب التي تعيش في حيز من الصون والحرمة يدعو كل المجتمع ليقدم لها التوقير والاحترام، وإنما الابتذال الحقيقي هو في جعل المرأة سلعة كما جميع السلع. والعدوان عليها بشتى أشكال التعسف والاضطهاد الذي ستقدمه لنا الأرقام التالية:

أولاً: المرأة في أمريكا:

في عام ١٩٨١ أشار 'شتراوس' إلى أن حوادث العنف الزوجي منتشرة في ٥٠: ٦٠٪ من العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين قدر "راسل" عام ١٩٨٢ هذه النسبة بـ٢١٪، وقدرت 'باغلو' النسبة بأنها تتراوح بين ٢٥ و٣٥٪ كما بين 'أبلتون' في بحثه الذي أجراه عام ١٩٨٠ على ٦٢٠ امرأة أمريكية أن ٣٥٪ منهن تعرضن للضرب مرة واحدة على الأقل من قِبل أزواجهن، ومن جهتها أشارت 'والكر' استنادًا إلى بحثها عام ١٩٨٤ إلى خبرة المرأة الأمريكية الواسعة بالعنف الجسدي، فبينت أن ٤١٪ من النساء أفدن أنهن كن ضحايا العنف الجسدي من جهة أمهاتهن، و٤٤٪ من جهة آبائهن، كما بينت أن ٤٤٪ منهن كن شاهدات لحوادث الاعتداء الجسدي لآبائهن على أمهاتهن.

في عام ١٩٨٥ قتل ٢٩٢٨ شخصًا على يد أحد أفراد عائلته، وإذا أردنا معرفة ضحايا القتل من الإناث وحدهن لوجدنا أن ثلثهن لقين حتفهن على يد زوج أو شريك حياة،

---

(١) الحج: ٧٧.

(٢) المصدر: شبكة نور الإسلام.

وكـان الأزواج مسئولين عن قتل ١٩٨٤ ، في حين أن القتلة كانوا من رفاقهن الذكور في ١٠٪ من الحالات .

أمـا إحـصاءات مرتكبي الاعتداءات ضد النساء في أمريكا: ثلاثة من بين أربعة معتدين هـم مـن الأزواج ، ٩٪ أزواجًـا سابقين ، ٤٥٪ أصدقاء ، و٣٢٪ أصدقاء سابقين . إحصائية أخـرى تـدرس نسبة المعتدين ، تبين أن الأزواج المطلقين أو المنفصلين عن زوجاتهم ارتكبوا ٦٩٪ من الاعتداءات بينما ارتكب الأزواج ٢١٪ .

وقـد ثـبت أن ضـرب المـرأة مـن قبل شريك لها ، هو المصدر الوحيد ، والأكثر انتشارًا الـذي يـؤدي إلى جـروح للمـرأة ، وهـذا أكثـر انتـشارًا ، مـن حـوادث السيارات والسلب والاغتصاب كلها مجتمعة .

وفي دراسـة أخرى تبين أن امرأة واحدة من بين أربعة نساء ، يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة ، يبلغن عن التعرض للاعتداء الجسماني من قبل شركائهن .

تم توزيـع بيانات على مستوى الولايات شملت ٦٠٠٠ عائلة أمريكية ونتج عنها ٥٠٪ مـن الـرجال الذين يعتدون بشكل مستمر على زوجاتهم يعتدون أيضًا وبشكل مستمر على أطفالهم .

واتضح أن الأطفال الذين شهدوا عنف آبائهم معرضون ليكونوا عنيفين ومعتدين على زوجاتهم ، بنسبة ثلاثة أضعاف ، من الذين لم يشهدوا العنف في طفولتهم ، أما أولياء الأمور العنيفون جدًا فأطفالهم معرضون ألف ضعف ليكونوا معتدين على زوجاتهم في المستقبل .

ثانيًا: المرأة في بريطانيا:

أمـا في بريطانيا فإن أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك . وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦٪ خلال عام واحد إلى نهاية آذار ١٩٩٢ ، كما وجد أن ٢٥٪ من النـساء يتعرضـن للـضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن . وتتلقى الشرطة البريطانية ١٠٠ ألف مكالمة سنويًا لتبلغ شكاوى اعتداء على زوجات أو شريكات ، علمًا بأن الكثير منهن لا يبلغن الشرطة إلا بعد تكرار الاعتداءات عليهن عشرات المرات . وتشير 'جين لويس' إلى أن ما بين ثلث إلى ثلثي حالات الطلاق تعزى إلى العنف في البيت ، وبصورة رئيسية إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي .

وقـد أظهـر استطلاع نشرت نتائجه في بريطانيا تزايد العنف ضد النساء . ففي استطلاع شـاركت فـيه سـبعة آلاف امـرأة قالـت ٢٨٪ مـن المـشاركات: إنهـن تعرضـن لهجـوم من

أزواجهن ، ويفيد تقرير بريطاني آخر أن الزوج يضرب زوجته دون أن يكون هناك سبب يبرر الضرب ويشكل هذا ٧٧٪ من عمليات الضرب . ويستفاد من التقرير نفسه أن امرأة ذكرت أن زوجها ضربها ثلاث سنوات ونصف سنة منذ بداية زواجها ، وقالت: لو قلت له شيئًا إثر ضربي لعاد ثانية لذا أبقى صامتة ، وهو لا يكتفي بنوع واحد من الضرب بل يمارس جميع أنواع الضرب من اللطمات واللكمات والركلات والرفسات ، وضرب الرأس بعرض الحائط ولا يبالي إن وقعت ضرباته في مواقع حساسة من الجسد .

وأحيانًا قد يصل الأمر ببعضهم إلى حد إطفاء السجائر على جسدها ، أو تكبيلها بالسلاسل والأغلال ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحال ساعات طويلة .

تسعى المنظمات النسوية لتوفير الملاجئ والمساعدات المالية والمعنوية للضحايا ، وتقود "جوان جونكلر" حملة من هذا النوع ، فخلال اثني عشر عامًا مضت ، قامت بتقديم المساعدة لآلاف الأشخاص من الذين تعرضوا لحوادث اعتداء في البيت ، وقد جمعت تبرعات بقيمة ٧٠ ألف جنيه إسترليني لإدارة هذه الملاجئ وقد أنشئ أول هذه المراكز في مانشستر عام ١٩٧١ ، ثم عمت جميع بريطانيا حتى بلغ عددها ١٥٠ مركزًا .

غربيات لا يبغين بالإسلام بدلا!!

أختاه . . ألم يخطر لك ببال أيّ امرأة أنتِ؟ وأيّ دين تنتسبين إليه؟!!

ألم تسمعي عن تلك النصرانية التي أروي لك قصتَها من تجربتي في الغربة دون واسطة وقد كنا في رحلة دعوية وترفيهية في مدينة سياتل ، وما إن غربتْ شمس ذلك اليوم إلا وقد جاءت البشائر بإسلامها وانشراح صدرها لدين الإسلام وارتدائها للحجاب .

وعندما سُئلتْ كيف تم ذلك؟ قالت: إن سبب اعتناقها للإسلام هو ما رأته من مظاهر الحشمة وخلق الحياء بين المسلمات ومِن تَركهن للاختلاط والتبرج الذي دمر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم وما رأت في ذلك من البهاء والجمال ، وكيف انجذبت إلى نداء الروح الذي تحرك في سويدائها حين اصطف المسلمون للصلاة خاشعين متذللين لله على الجانب الآخر في مشهد هو غايةٌ في التأثير . .

أما الشيء المثير حقا في هذه الحادثة ، أن أولئك النسوة اللائي كُنّ سببا لهدايتها ، كنّ كلهنّ من الأمريكيات اللاتي اخترن الإسلام على ما سواه من الأديان وتعبدن لله لا سواه وعضضن بالنواجذ على مقتضى لا إله إلا الله . . واقتدينَ بأمهات المؤمنين ، فلبسنَ الحجاب الكامل دون أن يُرى من إحداهن شيء!!

بل ألم تسمعي عن تلك المرأة النصرانية الأخرى التي رأت فتيات مسلمات يمشين في الطريق مُتوجاتٍ بوقار الحشمة والحجاب؛ فحرك مرآهنّ في نفسها ساكنا! وبعد أن سَألتْ عن خبرهن وقيل لها إنهن يَدِنَّ بالإسلام، اتجهت إلى دراسة هذا الدين حتى انتهى بها المطاف إلى اعتناقها للإسلام!! إن هذا المشهد الذي قد يظنه البعض عاديا وغير مؤثر، قد كان له الدور الأول في إنقاذ نفس إنسان من النار وجريان مثل أجر هذه الأخت المهتدية لهاتيك الفتيات المحجبات وهن غافلات لا يدرين عن أمرها شيئا.

وأما مشاعر أولئك المسلمات الجديدات بعد ذلك وسعادتهن وراحتهن فلا تسألي!! هذه مجموعة من الغربيات اللاتي ذقن طعم الإيمان ولذة الاستقامة على هذا الدين يقلن واحدة تلو الأخرى: - زادني الحجاب جمالاً.

- الحجاب إعلان عام بالالتزام.

- الحجاب شعار تحرر.

- الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية.

- عندما أسلمتُ أصررتُ على ارتداء الحجاب بالكامل.. من الرأس إلى القدم.

- الحجاب جزء مني، من كياني، فقد ارتديته قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.

وأخريات منهن يهتفنَ تباعا:

- شعرتُ أنني كنت دائماً مسلمة.

- اكتسبتُ من الإسلام القوة لمواجهة الناس.

- أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي.

- وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي.

- قبل إسلامي كنتُ لا شيء، والأجدر باسمي - قبل إسلامي - أن يكون "لاشيء".

- أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين.

- صارت الصلاةُ ملاذي والسجود راحتي وسكينتي.

- فرحتي لا تُوصف.

- شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه.

- المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة.

- المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد .
- أُحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي .
- تعرفتُ على وحدانية الله فبكيت .
- نطقتُ بالشهادتين فسرتْ في عروقي قوة خارقة .
- الإسلام هو الذي أعطاني الأمان .
- اكتشفت كنوزاً كنتُ أجهلها .
- حياتي بدأتْ عندما أسلمت ، وسنواتُ عمري الماضية لا قيمة لها .

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستنطق الدمعة من الجفن ، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية "تيريز" تصرخ حتى إن صوتها ليكاد أن يصل إلى نجوم السماء الزهر: "لا أريد أن أتحدث ، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً ، ولو كتبتم كتباً ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي ، أنا مسلمة ، مسلمة ، مسلمة ، قولوا لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي ، قولوا لهم عَبْر وسائل الإعلام كلها: "تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها ، بلباسها ، بأعمالها ، بأفكارها .

شمس الله تُشرق على الغرب:

ويطيب لي هنا أن أُثلثَ بثالثة الأثافي ، قصة العالمة الألمانية "زيغريد هونكة" صاحبة الكتاب الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب" والذي بينتْ فيه ، كما هو معلوم ، فضل حضارة المسلمين وتمدنهم على الغرب ونهضته الأخيرة بعد عصور الظلام التي غطتْ أوروبا في غطيطها قرونا طويلة . . زيغريد هونكة التي تَمَلّك حبُّ العرب وثقافتِهم ومجدِهم شَغاف قلبها بما لا يكاد أن يكون له مثيل بين الأوربيين وأحبتْ الإسلام لحبها لهم ولعلمها بأنه هو الذي أخرجهم بين الأمم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حدثني بخبرها الدكتور علي الدفّاع عالم الرياضيات المعروف في جامعة البترول بالظهران بنفسه مشافهة قال: كنت في أحد المؤتمرات العلمية في أوروبا وقد تحدثتُ إلى الدكتورة هونكة وكنت مطلعا على كتاباتها وإنصافها لعقيدتنا وحضارتنا ورأيتُها وقد كبرتْ سِنُّها قلت لها: إن لي حلما جميلا أرجو له أن يتحقق!! فقالت لي: وما هذا الحلم . . قال فأجبتُها: بأن حياتك العلمية والثقافية الطويلة في الدفاع عن مآثر العرب والمسلمين وتاريخهم أرجو أن يكون لهذه الحياة الحافلة وهذه السيرة العلمية المميزة تكملة جميلة وأن تختم بأحسن ختام وذاك بأن تدخلي في الإسلام!! قال محدثي: وقد رأيتُ عينيها اغرورقتا بالدموع ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: "بيني وبين

ذلك قاب قوسين أو أدنى" قال فما مر عام أو أكثر حتى سمعتُ خبر اعتناقها للإسلام وسمعتُ خبر وفاتها بعد ذلك بمدة رحمها الله . . اهـ .

وعندما سُئلتْ في أحد المؤتمرات الإسلامية ما نصيحتها للمرأة العربية التي تريد طي الماضي وخلع الحجاب ، قالت "زيغريد هونكة": " . . لا ينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها ، أو أن تهتدي بفكر عقدي مهما كان مصدره ، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها مقومات شخصيتها ، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل ، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح ، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فُطرنَ عليها ، وأن تلتمس العربيةُ لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقا لها ، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة الممثلة في كونها أم جيل الغد العربي ، الذي يجب أن ينشأ عصاميا يعتمد على نفسه .

ومثلها قالت الكاتبة الأمريكية هيلسيان ستانسبري بعد أن قضت في إحدى العواصم العربية عددا من الأسابيع . وعندما عادت إلى بلادها لم يكن ذلك ليمنعها من أن تدلي بشهادتها وتمحض النصح حيث تقول: "إن المجتمع العربي كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول . وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي ، فعندكم أخلاق موروثة تحتِّم تقييدَ المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية ، التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا . . امنعوا الاختلاط ، وقيّدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا .

الحضارة الغربية:

والسؤال هنا لأي شيءٍ دعت الحضارة المدنية اليوم؟ وماهي الحقوق التي ضمنتها للمرأة؟

١- أجمل لك القول أن الحضارة الغربية اليوم هي: ضمان للممارسة قتل هوية المرأة ، وهضم لأدنى حقوقها .

٢- المرأة الغربية حياتها منذ الصغر نظر إلى مستقبل في صورة شبح قاتل ، لا تقوى على صراعه ، فهي منذ أن تبلغ السادسة عشرة تطرد من بيتها ، لتُسلِم أُنوثتها مخالب الشهوات الباطشة ، وأنياب الاستغلال العابثة ، أوساط الرجال .

٣- فما إن تدخل زحمة الأوهام الحضارية ، وإذا بأعين الناس تطاردها بمعاول النظر التي تحبل منها العذارى .

٤- تتوجه نحوها الكلمات الفاسدة، وكأنها لكمات قاتلات، تبلد من الحياء، وتفقدها أغلى صفة ميزها الله بها، هي: " حلاوة أنوثتها " التي هي أخص خصائصها، ورمز هويتها.

٥- تُستغل أحوالها المادية، فتدعى لكل رذيلة، حتى تصبح كأي سلعة، تداولها أيدي تجار الأخلاق، وبأبخس الأثمان، فإذا فقدت شرفها، وهان الإثم عندها، هان عليها ممارسته.

٦- يخلق النظام الأخلاقي الغربي اليوم في المجتمعات ثمرات سامة لكل مقومات الحياة، أولها الحكم على هوية المرأة بالإعدام السريع، على بوابة شهوات العالم الليبرالي، الديمقراطي، والرأسمالي.

٧- فالمرأة اليوم أسوأ حالاً مما مضى، كانوا من قبل يقتلون المرأة، فاليوم يجعلون المرأة هي التي تقوم بقتل نفسها.

شهادات الأعداء:

شهد القوم على فساد نهجهم تقول " هيليسيان ستانسيري " امنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا، وأمريكا.

وتقول " بيرية الفرنسية " وهي تخاطب بنات الإسلام " لا تأخذنَّ من العائلة الأوربية مثالاً لكُنَّ، لأن عائلاتها هي أُنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى.

وتقول الممثلة الشهيرة "مارلين مونرو" التي كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها: " إحذري المجد . . . إحذري من كل من يخدعك بالأضواء . . . إنى أتعس امرأة على هذه الأرض . . . لم أستطع أن أكون أما . . . إني امرأة أفضل البيت . . . الحياة العائلية الشريفة على كل شيء . . . إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية " وتقول في النهاية " لقد ظلمني كل الناس . . . وأن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة ".

وتقول وتقول الكاتبة " اللادى كوك " أيضا: " إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولا يخفى ما فى هذا من البلاء العظيم عن المرأة، فيه أيها الآباء لا يغرونكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا فعلموهن الابتعاد عن الرجال، إذا دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن

الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر الاختلاط بين الرجال والنساء . ألم تروا أن أكثر أولاد الزنا أمهاتهن من المشتغلات فى المعامل ومن الخادمات فى البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار . . ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مما نرى الآن ، ولقد أدت بنا الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصوره فى الإمكان حتى أصبح رجال مقاطعات فى بلادنا لا يقبلون البنت ما لم تكن مجربة ، أعنى عندها أولاد من الزنا ، فينتفع بشغلهم وهذا غاية الهبوط فى المدينة ، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة .

وتقول . تقول الكاتبة الإنجليزية " أنى رود " عن ذلك: " إذا اشتغلت بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . . . أياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهما بسوء . نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثل للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها .

نشرت صحيفة الأخبار المصرية [١]: أنه قد أقيمت في هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن . . وكان موضوع الحديث والخطب التي ألقيت في حضور الأميرة (آن) البريطانية هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة . . وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة عمرها ١٧ عاماً رفضت رفضاً باتاً حركة التحرير النسائية وقالت أنها تريد أن تظل لها أنوثتها ولا تريد أن ترتدي البنطلون بمعنى تحدي الرجل . وأنها تريد أن تكون امرأة وتريد زوجها أن يكون رجلاً . وصفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة (آن)[٢] .

ومن هذا صرح الدكتور " جون كيشلر " أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو (أن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي وأن ٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم ، وقال الدكتور أن الإعلانات التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي . ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونجرس

(١) في عددها الصادر في ٢٠/ ١٠/ ١٩٧٢م ، ص ٤ .
(٢) كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين؟! ص ٥٠ .

الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا تحت عنوان (أخلاق المجتمع الأمريكي المنهارة).

* * * * *

المبحث السادس:
المرأة قبل الإسلام وبعده

حقائق:

الحق أن هذه المرأة عانت معاناة كثيرة، بل كانت ضحية كل نظام، وحسرة كل زمان، صفحات الحرمان، ومنابع الأحزان، ظلمت ظلماً، وهضمت هضماً، لم تشهد البشرية مثله أبداً.

صفحات من العار:

إن من صفحات العار على البشرية، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر، لم تمر حضارة من الحضارات الغابرة، إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب، وأصناف الظلم والقهر فعند الإغريقيين قالوا عنها: شجرة مسمومة، وقالوا هي رجس من عمل الشيطان، وتباع كأي سلعة متاع وعند الرومان قالوا عنها: ليس لها روح، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار، وتسحب بالخيول حتى الموت.

وعند الصينيين قالوا عنها: مياه مؤلمة تغسل السعادة، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية، وإذا مات حُق لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود قالوا عنها: ليس الموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة، بل وليس للمرأة الحق عند الهنود أن تعيش بعد ممات زوجها، بل يجب أن تحرق معه.

وعند الفرس: أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء، ويجوز للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت.

وعند اليهود: قالوا عنها: لعنة لأنها سبب الغواية، ونجسة في حال حيضها، ويجوز لأبيها بيعها.

وعند النصارى: عقد الفرنسيون في عام ٥٨٦م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟

وأخيراً" قرروا أنها إنسان ، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب" . وأصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل(المحرف) ؛ لأنها تعتبر نجسة ،وعند العرب قبل الإسلام: تبغض بغض الموت ، بل يؤدي الحال إلى وأدها ، أي دفنها حية أو قذفها في بئر بصورة تذيب القلوب الميتة .

* * * * *

المبحث السابع :
تحرير المرأة الحقيقي هو في الإسلام

ثم جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء ، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح ، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية في حضاراتها أبداً .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (٣) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ (٤) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٥) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ (٦) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (٧) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٨) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ (٩) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (١٠) .

---

(١) البقرة: ٢٢٨ .
(٢) النساء: ١٩ .
(٣) البقرة: ٢٣٢ .
(٤) البقرة: ٢٣٦ .
(٥) الطلاق: ٦ .
(٦) الطلاق: ٦ .
(٧) النساء: ٢٤ .
(٨)النساء: ٧ .
(٩) النساء: ٣٢ .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[٢] .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [٣] .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [٤] .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾[٥] .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُن ﴾ [٦] .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[٧] .

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة " .

وكان يؤتى ﷺ بالهدية ، فيقول: «**اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة**» .

وهو القائل: «**استوصوابالنساء خيراً**» [٨] .

وهو القائل: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر**» [٩] .

وهو القائل: «**إنما النساء شقائق الرجال**» [١٠] .

وهو القائل: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [١١] .

وهو القائل: «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**» [١٢] .

وهو القائل: «**أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك**» [١٣] .

---

(١) النور: ٣٣ .
(٢) البقرة: ١٨٧ .
(٣) هود: ٧٨ .
(٤) النساء: ٣٤ .
(٥) النساء: ١٩ .
(٦) النساء: ١٩ .
(٧) البقرة: ٢٢٩ .
(٨) البخارى .
(٩) صحيح مسلم٢٦٧٢ .
(١٠) مسند أحمد .
(١١) رواه البخارى .
(١٢) رواه مسلم .
(١٣) مسند أحمد .

obeikandl.com

وهو القائل: «**من سعـــادة ابن آدم المرأة الصالحــة**» [١].

ومن هديه: «**عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد**» [٢].

وهـو القائـل: «**وإنـــك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**» [٣].

وهـناك الكـثير والكـثير مـن الأدلـة والـبراهين، علـى أن الإسـلام هو المحرر الحقيقي لعبودية المرأة، وحتى يُعلم هذا الأمر بصورة أو ضح، سأبين حفظ حقوق المرأة في الإسلام وهي جنين في بطن أمها إلى أن تنزل قبرها.

آيـــــات بينات!!!

١- حفـظ الإسلام حق المرأة: - وهي في بطن أمها، فإن طُلقت أمها وهي حامل بها، أوجـب الإسـلام على الأب أن ينفق على الأم فترة الحمل بها: ﴿ **وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُن** ﴾ [٤].

٢- حفـظ الإسـلام حـق المرأة: - بحيث لا يُقام على أمها الحد، حتى لا تتأثر وهي في بطـن أمهـا، (ولمـا جـاءت الغامديـة وقالـت: يا رسول الله طهرني فقال لها: «**حتى تضعي ما في بطنك**».

٣- حفـظ الإسلام حق المرأة: - راضعة؛ فلما وضعت الغامدية ولدها، وطلبت إقامة الحد قال ﷺ: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**».

٤- حفـظ الإسـلام حـق المرأة: - مولودة من حيث النفقة والكسوة: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لـــه رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف** ﴾ [٥].

٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - في فترة الحضانة التي تمتد إلى بضع سنين، وأوجب على الأب النفقة عليها في هذه الفترة لعموم أدلة النفقة على الأبناء.

٦- حفـظ الإسـلام حـق المـرأة: - في المـيراث عمـوماً، صـغيرة كانـت أو كـبيرة قال الله: ﴿ **فَـــإِنْ كُـــنَّ نِـــسَاءً فَـــوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا**

---

(١) سنن النسائي.
(٢) مسند أحمد.
(٣) رواه البخاري.
(٤) الطلاق: ٦.
(٥) البقرة: ٢٣٣.

النِّصْفُ ﴾[١] .

٧- حفظ الإسلام حق المرأة: - في اختيار الزوج المناسب ، ولها أحقية القبول أو الرد إذا كانت ثيباً لقوله عليه الصلاة والسلام لا تنكح الأيم حتى تستأمر .

٨- حفظ الإسلام حق المرأة: - إذا كانت بكراً فلا تزوج إلا بإذنها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا تنكح البكر حتى تستأذن

٩- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صداقها ، وأوجب لها المهر: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٢] .

١٠- حفظ الإسلام حق المرأة: - مختلعة ، إذا بدَّ لها عدم الرغبة في زوجها أن تخالع مقابل الفداء لقوله عليه الصلاة والسلام: «**اقبل الحديقة وطلقها**» .

١١- حفظ الإسلام حق المرأة: - مطلقة ، ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٣] .

١٢- حفظ الإسلام حق المرأة: - أرملة ، وجعل لها حقاً في تركة زوجها ، قال الله: ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾[٤] .

١٣- حفظ الإسلام حق المرأة: - في الطلاق قبل الدخول ، وذلك في عدم العدة ، قال الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾[٥] .

١٤- حفظ الإسلام حق المرأة: - يتيمة ، وجعل لها من المغانم نصيباً ، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[٦] وجعل لها من بيت المال نصيباً قال الله: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[٧] وجعل لها في القسمة

---

(١) النساء: ١١ .
(٢) النساء: ٢٤ .
(٣) البقرة: ٢٤١ .
(٤) النساء: ١٢ .
(٥) الأحزاب: ٤٩ .
(٦) الأنفال: ٤١ .
(٧) الحشر: ٧ .

نصيباً ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[١] وجعل لها في النفقة نصيباً ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى ﴾[٢].

١٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - في حياتها الاجتماعية، وحافظ على سلامة صدرها، ووحدة صفها مع أقاربها، فحرم الجمع بينها وبين أختها، وعمتها، وخالتها، كما في الآية، والحديث المتواتر.

١٦- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صيانة عرضها، فحرم النظر إليها ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[٣].

١٧- حفظ الإسلام حق المرأة: - في معاقبة من رماها بالفاحشة، من غير بينة بالجلد ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[٤].

١٨- حفظ الإسلام حق المرأة: - إذا كانت أماً، أوجب لها الإحسان، والبر، وحذر من كلمة أف في حقها.

١٩- حفظ الإسلام حق المرأة: - مُرضِعة، فجعل لها أجراً، وهو حق مشترك بين الراضعة والمرضعة ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٥].

٢٠- حفظ الإسلام حق المرأة: - حاملاً، وهو حق مشترك بينها وبين المحمول ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[٦].

٢١- حفظ الإسلام حق المرأة: - في السكنى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾[٧].

٢٢- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صحتها فأسقط عنها الصيام إذا كانت مرضع أو حبلى.

٢٣- حفظ الإسلام حق المرأة: - في الوصية، فلها أن توصي لِما بعد موتها ﴿ مِنْ بَعْدِ

---

(١) النساء: ٨.
(٢) البقرة: ٢١٥.
(٣) النور: ٣٠.
(٤) النور: ٤.
(٥) الطلاق: ٦.
(٦) الطلاق: ٦.
(٧) الطلاق: ٦.

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [(١)] .

٢٤- حفظ الإسلام حق المرأة: - في جسدها بعد موتها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ : «**كسر عظم الميت ككسره حيا**» .

٢٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - وهي في قبرها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ : «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**» .

* * * * *

الفصل الثاني:
المرأة بين عز الإسلام وذلّ الجاهلية المعاصرة

إن الباعث الحقيقي لأن ننظر إلى واقع المرأة المسلمة، في الأمس القريب زمن وجود الدولة الإسلامية وفي ظل مجتمع يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، هو مقارنته بالواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة حالياً في مجتمعات غير إسلامية تحكم بغير كتاب الله وسنة رسوله، وتطبق قوانين الكافر المستعمر صاحب السيادة والريادة حيث يصول ويجول دون رقيب ولا حسيب. فماذا قدم الإسلام للمرأة؟ وماذا قدمت المرأة للإسلام؟ وما هي حالها بعد زوال دولة الإسلام؟ وماذا يكيد لها أهل الكفر في كل بقاع الأرض؟ لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة منذ أن أشرق فجر الإسلام فأكرمها حين أذلها أهل الكفر، وصان عرضها حين داسه أهل الكفر والجاهلية قديماً، فأعطاها حقوقها كاملة حين لم تكن إلا سلعةً ومتعةً لأهل الكفر، وحافظ على تلك المكانة التي أعظم بها المرأة ورفع من شأنها من خلال الدولة الإسلامية التي كانت تصون أعراض المسلمين وتذود عنها، وكان خليفة المسلمين يجيِّشُ الجيوش من أجل شرف امرأة وعرضها. وفي ظل هذه الكرامة والمجد العظيم شاركت المرأة في الحياة، وكان لها دور كبير لا يمكن أن ينسى أو يهمل على مر العصور. لقد كُرِّمت المرأة في ظل الإسلام وفي كنف سلطانه فقدّمت من أجل إعزاز دين الله الكثير الكثير... ابتداءً بأم المؤمنين خديجة الكبرى كيف صحبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودافعت عنه وصدقته حين كذّبه الناس وكانت له عوناً وسنداً في دعوته إلى الله، ومن بعدها عائشة وزيرة صدق لرسول الله، وسمية أول شهيدة في الإسلام، ونسيبة بنت كعب التي قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة**» عندما دافعت

---

(١) النساء: ١١ - ١٢ .

عن رسول الله وثبتت أمام الكفار في أحد، نِعمَ المجاهدة المطبِّبة المؤمنة التقية النقية هي، وخولة بنت الأزور، وهند بنت عتبة، وصفية بنت عبد المطلب، والخنساء رضي الله عنها التي عرفت بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفَّى إبان الجاهلية، وما أن لامس الإيمان قلبها، وعرفت مقام الأمومة ودور الأم في التضحية والجهاد في إعلاء البيت المسلم ورفعة مقامه عند الله، حتى وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت معركة القادسية تقول لهم: «إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لابن أب واحد وأم واحدة، ما خَبث آباؤكم، ولا فُضِحَت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا، ولما بلغها خبرهم ما زادت على أن قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته» هؤلاء المجاهدات الصابرات الحافظات القانتات وغيرهن الكثيرات سُطِّرت سيرتهن بماء الذهب في تاريخ الإسلام العظيم. هكذا كانت أمهاتنا.

وهكذا كان الإسلام عظيماً، فعظمت معه المرأة، فأنعم بهن من نساء أكرمهن الإسلام، ورفع من شأنهن، وحمى أعراضهن، ودافع عن شرفهن، فحافَظنَ على دينهن وتمسَّكنَ به أكثر فأكثر، واعتصَمنَ بحبل الله جميعاً وهنَّ على ثقة بأنَّهنَّ بالإسلام العظيم وصَلنَ لهذه الدرجة العليا. وبقيت المرأة شامخةً كريمةً عزيزةً مصونةً بعزِّ الإسلام وحامية بيضة الإسلام دولة الخلافة على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان. ولكن عندما أصيب الإسلام في المقتل، كانت الرصاصة مباشرة إلى قلب الإسلام، فسقطت حامية بيضة الإسلام العظيم دولة الخلافة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

فماذا خسرت المرأة المسلمة من سقوط دولة الخلافة وانتهاء الحكم بما أنزل الله، وتنحية الشرع جانباً ووضعه في سجون الاتهام بالرجعية والتخلف؟؟ إن حالها توافق حال امرأة كانت تعيش في بيتها تحيط بها جدرانه من كل ناحية قوية ثابتة لا يستطيع أحد أن يقتحمه عليها عنوة تعيش بهدوء وسلام وأمن وطمأنينة مع زوجها وأبنائها، وبينما هي كذلك يتسلل العدو الكاره الحاقد متخفياً في ثياب الصديق المحب الودود، فيشرَعُ في نقض عرى البيت عروةً عروةً، وهدمه حجراً حجراً، إلى أن هدم البيت بأكمله، وقتل الزوج الذي يصونها ويحميها، وصارت تلك المرأة في العراء لا تعرف كيف تستر نفسها، ولا كيف تحمي أولادها، ولا يوجد من يرعاها ويدافع عنها، وصار كل من حولها يريد الحصول عليها بأي ثمن، ويريد أن يرى تلك المرأة التي كانت كاللؤلؤة في المحارة لا ينظر إليها أحد، ولا يستطيع أن يبطش بها أحد، كل منهم يريدها لنفسه، يريدها سافرةً ظاهرةً للعيان، يتهافت إليها القاصي والداني من كلاب البشرية، فما أصعبها من حال آلت إليه تلك

المرأة . هذا ما حصل لك أيتها المسلمة عندما سقط البنيان العظيم ، وهدم على يد أهل الكفر ، وأبعدوا راعيَ البيت وربَّ الأسرة عن صون عرضك وكرامتك ، من لو استصرَختِهِ واخليفتاه لقالها مدوية مجلجلةً تهز عروش الطغاة: لبيك أمَةَ الله .

قالوا مراوغين: إن الإسلام حبسها بأحكامه وقيَّدها بشروطه وضيَّق عليها الخناق ، ولم يعطها حريتها فتفعل ما تشاء وتقوم بما تحب ولا تقوم بما لا تحب . . . قالوا لماذا تفرضون عليها أحكاماً وحراماً وحلالاً؟ دعوها تعيش دعوها بحريتها ، قالوا لمَ هذا الحجاب؟ إنه يضايقها ويقيدها ، شعرها جميل لمَ تخفيه؟ ، فخلعوا عنها حجابها ، خلعوا عنها إسلامها ، خلعوا عنها حكم الله في حقها: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[1] واعتبروا كل من ترتدي الحجاب هي متهمة بالتخلف والرجعية ، وأضافوا كذبتهم الجديدة "إرهابية" وما حدث في دول الاتحاد الأوروبي ليس عنكم ببعيد . ثم لماذا هذا الجلباب؟ فلتخلعه عنها ، أجسدها منظره منفر لدرجة أن تخجل منه؟ لا بل هي الجميلة ، فبكلمات مزخرفة أزالوا عنها ثوب العفاف والطهر وأمْرَ ربِّها: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[2] فاستباحوا جسدها واستعملوه سلعة لترويج البضائع وإشباع الشهوات ، فصارت تعيش لا تأمَنُ على نفسها في بيتها ، في الطرقات ، في كل شؤون حياتها . هذا ما آلت إليه حالها . والمصيبة الطامة وجود نساء ساذجات تعبد الله على حرف ، تتنازل ببساطة ويسر عن دينها ، وتقبل بأن تَذِلَّ وتهان ، سبحانك اللهم تستر النساء ويهتِكْنَ سترك لهنَّ بأيديهن ، عفوك ربي إن قومي لا يعلمون .

وهناك أخوات أُجبرنَ على حياة الذل والمهانة وتلويث الشرف والعِرض ، ولا حامي لهن ولا يوجد من يذود عنهن أو يدافع عن كرامتهن التي انتهكت ، وهنَّ كثر فانظروا إليهنَّ في العراق ، وأفغانستان ، والشيشان ، وفي كل مكان لا يطبَّق فيه شرع الله ، إنهن مسلمات قابضات على الجمر ، قابضات على دين الله ، ويتحملن المشاق والتضييق عليهن ولكنهن يصبِرنَ ويتحمّلنَ في سبيل الله . كل هذا يحدث للمسلمة ، لماذا المسلمة بالذات؟ لماذا هذه الحرب الشرسة عليها باسم الحرية؟ لماذا هذه الهجمة الدنيئة على المسلمة باسم المساواة؟ أتعلمين أختي المسلمة لماذا أنت فقط؟ لأنك تقولين ربِّيَ الله ، وليس ربي ما تفترون ، فقط

---

(١) النور: ٣١ .

(٢) الأحزاب: ٥٩ .

لأنك تقولين لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقط لأنك تسجُدين لله ولا تسجدين لشهواتهم وأفكارهم العفنة، فقط لأنك تنتهين عمّا حرم الله في زمنٍ فيه نساء أهل الكفر عارياتٌ وضيعاتٌ يبِعْنَ أنفسهن بثمن بخس على قارعة الطريق.

ومما يزيد الطين بلة حال من احتسبوهم على المسلمين حكاماً، ووَلّوهم أمر المسلمين، وجعلوهم رعاة بل هم الرعاع والله، فها هم الحكام المرتمون بأحضان الغرب، الموالون لسياسته، والخاضعون لإرادته، والمنفذون لأهدافه، يفعلون ما يطلبه منهم، ويقدِّمون له الولاء والسمع والطاعة. إن الغرب الكافر الذي عمرانه على دمار الآخرين، الذي يغذي جسمه من دماء المقهورين، والذي لم يَبْنِ جنته المزعومة، التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، إلا من استعباد الناس واستغلالهم واستعمارهم، ومص دمائهم، ونهب خيراتهم... فكيف يكون الدواء وهو الداء بعينه؟! ثم إن الغرب نفسه، وعلى أرضه، يدَّعي أنه يحيا برفاهية وغنًى وكفاية وحرية مزعومة... يعيش تفككاً أسرياً، وانحلالاً خلقياً، وانحطاطاً في القيم، وغرقاً في الشهوات، واختلاطاً في الأنساب سببه زنا المحارم، ووفرةً في الجرائم تدل على شذوذ خلقي وفراغ روحي وقلق نفسي...

فلننظر على سبيل المثال إلى روسيا فيما أوردته قناة Bbc العربية: «تشير بعض التقارير المستقلة إلى أن الكثير من الرجال القادرين على العمل في روسيا حالياً إما يعانون من البطالة، أو يتواجدون في السجون، أو يدمنون على الكحول. فمن بين ٢٠ مليون رجل قادر على العمل نجد مليون رجل في السجون، و٤ ملايين يخدمون في القوات المسلحة، و٥ ملايين يعانون البطالة، و٤ ملايين من المدمنين على الخمر، ومليون يدمنون تعاطي المخدرات. كما أن حوالى ٦٠٪ من إجمالي السكان في روسيا هم من المسنين والأطفال المعاقين».

هذه هي حال بلد حضاري، وما خفي كان أعظم. كما أنه يعيش في بهيمية واضحة بحق نفسه، وبحيوانية شرسة بحق غيره، والدليل على ذلك ما أوردته قناة العربية بخصوص الشُوَّاذ جنسياً حين قالت: «وضعت دول غربية مثل الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا قضية الشوّاذ جنسياً في العالم العربي على أجندة المحادثات مع المسؤولين العرب في السنوات الأخيرة، لدرجة أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك تدخل شخصياً لصالحهم في مصر، فيما تَفِدُ إلى العراق جمعيات أميركية لدعمهم هناك - كما ذكرت تقارير صحفية نشرتها صحف ومواقع إخبارية أجنبية». وتقول وكالة أسوشيتد برس إن «مشاعر المواطنين في المنطقة العربية إزاء الشذوذ الجنسي مؤكد أن الناس ينظرون إليه باعتباره انحرافاً خطيراً تقف وراءه

مؤامرات أميركية إسرائيلية لتحطيم الإيمان وتشويه معالم الدين لديهم» وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنهم يريدون أن ينقلوا عفن حضارتهم إلى المسلمين بأي وسيلة ممكنة. هذا بالإضافة إلى حال بريطانيا الدولة العظمى حيث أوردت قناة العربية عن صحيفة التايمز اللندنية في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٥م: (كنيسة بريطانية تبارك زواج رجال الدين الشوّاذ: «تمنح كنيسة بريطانية مباركتها للزواج بين رجال الدين الشوّاذ جنسياً الراغبين في دخول عقد شراكة مدني». إلا أن الكنيسة البريطانية ترفض منح هذه الشراكة الزوجية المدنية صفة "العلاقة الزوجية الرسمية" كما أنها ستطالب رجال الدين الشوّاذ الراغبين بالزواج الحفاظ على طهارتهم أي علاقة زوجية "بلا ممارسة جنسية". وكان أسقف "نوريتش" قد أشرف على إعداد هذا الحل بالنسبة لرجال الدين الشوّاذ.

كما يذكر أن المجمع الإنجيلي العالمي منقسم حول فكرة زواج رجال الدين الشوّاذ، ووصل إلى حافة الانشقاق بعد انتخاب أول أسقف شاذ جنسياً، ريف روبنسون في الولايات المتحدة. ومن المتوقع أن يجري احتفال رسمي بأول زواج لرجال دين شوّاذ في ديسمبر/ كانون أول القادم. وكان جاك سبونغ، أسقف أبرشية تابعة للكنيسة الأسقفية البروتستانتية وهي أبرشية "نيويورك" في أميركا، قد أعلن مؤخراً بعد تقاعده أن "نصف الأساقفة الكاثوليك شاذون جنسياً").

هذا نتاج فساد حضارتهم الغربية وهذه حالهم، فأي دول عظمى تلك التي تعيش في وحل الشواذ ومستنقع الانحطاط الخلقي. فكان حقاً على المسلمين أن يختاروا الإسلام، ويلفظوا حضارة الغرب التي ابتلعوها ولكن لم يهضموها في يوم من الأيام. وإذا ما تذكروا أيامهم الخوالي يوم كانوا متمسكين بالإسلام، كانوا خير أمة أخرجت للناس، وإن المسلمين لم يتأخروا عن مقدمة الركب إلا يوم تخلوا عن الانقياد لأوامر الله في شؤون حياتهم كافة. ووالله الذي لا إله إلا هو، لو قارنا بين أحكام الإسلام وما تحمله من رحمة وهداية، وبين تعاليم الغرب وما تفرضه من شقاء وغواية، لوجدنا البون شاسعاً، وأننا نترك عزنا للذل والصغار. كما أن العالم كله، وأوله الغرب، بحاجة ماسة إلى الإسلام لينقذ نفسه مما يتردى فيه، بل قل مما أرداه به الفكر الغربي والحضارة الغربية.

هذا ما يدركه الغرب ويجن جنونه له، ويكيد للمسلمين كيداً عظيماً، ويمكر مكراً تزول منه الجبال، ولعله يتمخّض عن كيدهم هذا وعي المسلمين على إسلامهم بشكل يجعلهم أهلاً لحمل الإسلام إلى العالم كله. أما أولئك المغرضين من دعاة تحرير المرأة كفاهم كيداً ونفاقاً، أي تحرير يريدون للمرأة المسملة، تحرير من إسلامها ومن شرفها ومن

كرامتها، أهذا ما يبتغون؟ فلا والله فإن نساء المسلمين كريمات بإسلامهن، عزيزات بعقيدتهن، ويعلمن المخطط جيداً وما يُرمى إليه. فلا وألف لا، لسن ممن يبِعْنَ الشرف بالرذيلة، والعزة بالمهانة، والكرامة بالذل. لسن كما تريدون، ولسن كما ترغبون، بل هن كما يريد من خلق وهو العليم الخبير. إنهن بإذن الله صابرات ثابتات على دينهن، عاملات لإقامة شرع الله في الأرض من جديد، لتعود العزة والكرامة ولا يكون لأمثالكم عليهن سلطان. وإن فجر الخلافة لناظره قريب، فمهلاً يا دعاة التخريب، سيأتي اليوم الذي تندمون فيه على ما قدمتم، فإمام المسلمين وخليفتهم نسمعه من بعيد يثبتهنَّ ويشد من أزرهن: «أيا نساء المسلمين صبراً، فإن كرامتكن وأعراضكن معلقة في عنقي، وإني بإذن الله لموفٍ، وإن الله ناصر عباده المخلصين، فاصبرن واحتسبن». فيا خليفة المسلمين ويا إمامنا، هن الصابرات بإذن الله لم ولن يحِدْنَ عن طريق رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين اللواتي سبقتهن إلى الإسلام، وهن على ثقة بنصر من الله عظيم، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] أيا خير أمة أخرجت للناس هل من معتصم؟ أيا راعيَ الرعية ويا حَامِيَ الحمى، أيا خليفةَ المسلمين، أزمانك عنا ببعيد؟ واخليفتاه، واغوثاه. اللهم إنا مغلوبون فانتصر، اللهم إنا مغلوبون فانتصر. اللهم إنا نسألك ما وعدتنا: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2].

* * * * *

المبحث الأول:
قضية تحرير المرأة المسلمة

الحرية كلمة عذبة تتوق إليها النفوس البشرية، وقيمة سامية تؤكد إنسانية الإنسان، لذلك فلا غرو أن يسعى إليها كل الأفراد، ويبذلوا في سبيلها الغالي والنفيس، ويؤيدوا كل من يحمل لواءها ويذود عنها.

وقد جاء الإسلام حاميًا للحرية مدافعًا عنها، فحرر المرأة من الذل والخزي والهوان الذي كانت تعيش فيه أيام الجاهلية وأخذ بها إلى حمى العزة والكرامة والشرف؛ سواء أكانت هذه المرأة ابنة، أو أختًا، أو أمًّا، أو زوجة.

---

(١) الروم: ٤.

(٢) النور: ٥٥.

دعوات تحرير المرأة:

وقد ظهرت في بلاد المسلمين دعوات لتحرير المرأة، وهي في حقيقة أمرها دعوات للانحلال والتسيب الاجتماعي والخلقي، بدأت بدعوة النساء إلى نبذ الحجاب الشرعي الساتر لها، الحافظ لعفتها وكرامتها، والخروج من البيت بحجج شتى كالعمل والمساواة مع الرجل والاختلاط بالرجال اختلاطًا فاحشًا دون ضابط من خلق أو دين، وهذا الذي أدى إلى ضعف الحياء وفقدان العفة والسقوط في مهاوي الرذيلة، مما يسبب الإضرار بالبيت والأسرة والمجتمع.

ولم توازن هذه الحركات في دعوتها إلى تحرير المرأة بين واجباتها داخل بيتها، وبين مسؤولياتها خارجه فأثر ذلك على بناء الأسرة، وحرم الأطفال من الحياة الأسرية الهادئة، وخلا البيت ممن يقوم على شؤونه.

ودعاوى تحرير المرأة برفعها شعار المساواة والحرية تُنَفِّر من قوامة الرجل؛ مما يؤدي إلى التمرد عليه وعلى التقاليد الإسلامية والروابط الأسرية، وفي كلٍّ ضياع للأسرة ثم للمجتمع كله، يشهد على صدقه الواقع.

ومن المحزن أن الكثير من المسلمات انبهرن ببريق هذه الدعوات، وظنن أنها تحقق ما يردن من سعادة ونعيم، وهذا يرجع لأسباب سوء أحوال المرأة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وجعل بعض العادات والتقاليد غير الشرعية ملصقة بالإسلام؛ كتسلط الرجل على المرأة بدعوى القوامة وسلبها حقوقها، أو عدم إشراكها معه في التفكير والرأي بدعوى نقصان العقل.

وجهل المرأة بتعاليم الإسلام، وعدم تعليمها ما ينفعها، وإغراقها في الأفكار المدمرة لعقلها وبيتها كدعوى التحرر.

ومن هذه الأسباب أيضًا: الحركة الاستعمارية المسلطة على العالم الإسلامي. ومحاولات التدمير الفكري والاجتماعي من قبل أعداء الإسلام وهو ما يعرف بالغزو الفكري.

الإسلام وتحرير المرأة:

وعلى كل من ابتليت بهذه الدعوى وصدَّقتها وانجرفت في تيارها أن تعلم أن الإسلام قد حرر المرأة، فحفظ لها حقوقها بما يضمن عدم إساءة الرجل لها، وأتاح مجالات تنمية كفاءتها ومواهبها الفطرية.

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها الاقتصادية فجعل لها من الميراث نصيبًا بعد أن كانت

محرومة منه ، بل وساواها في بعض حالات الميراث بالرجل ، ودافع عن حقوقها الاجتماعية فأعطاها حرية اختيار الزوج ، بل وحرية طلب الطلاق في حالة تعثر الحياة الزوجية ، وجعل لها حق حضانة الأطفال ، وحافظ على عفتها وشرفها وكرامتها فأمرها بالحجاب والتستر ، وكلف الرجل بالإنفاق عليها حتى ولو كانت ثرية ، حتى لا تضطر للخروج من أجل العمل ، فإن اضطرت للخروج فلا غبار عليها .

أدلة تكريم المرأة:

وأدلة القرآن والسنة كثيرة في بيان تكريم المرأة . قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٢] .

وقال الرسول ﷺ : «إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»[٣] ، وقال ﷺ : **«من ابْتُلِي من البنات بشيء، فأحسن إليهن، كُنَّ له سترًا من النار»**[٤] .

أكاذيب وأباطيل:

وعلى الرغم مما حققه الإسلام للمرأة من حقوق نجد من ينادي بتحرير المرأة المسلمة ، ويزعم - كذبا وبهتانًا - أن الإسلام يقيد حركتها ويجعلها حبيسة بيتها وأسيرة زوجها وهيكلا متحركًا خلف أسوار حجابها إلى غير ذلك من الأكاذيب ؛ مما يعد هجومًا على الإسلام وخداعًا للمسلمة ، ليمكن استخدامها حربًا على دينها ومجتمعها .

وكل ذلك ليس إلا شعارات براقة خادعة يُبتغى من ورائها إفساد المرأة بحجة تحريرها وإخراجها من بيتها وطبيعتها التي خلقها الله وفطرها عليها . وبهذا الشعار الماكر يخربون البيوت ، ولقد كان هذا السهم الغادر موجهًا إلى صدر المجتمعات الإسلامية للنَيل من أبنائه وبناته ، وسهمًا لمحاربة العفة والطهارة .

---

(١) النساء: ١٢٤ .
(٢) النساء: ١٩ .
(٣) ابن ماجه .
(٤) سبق تخريجه .

دور الاستعمار:

وقد تزامنت هذه الدعاوى الماكرة - التي ظهرت في القرن التاسع عشر - مع الاحتلال الاستعمارى لمعظم الأقطار الإسلامية، وكان الهدف منها طمس الهوية الإسلامية وإذابة اعتزاز المسلمة بدينها وخلقها وإفساد رسالة المرأة السامية في تربية النشء تربية إسلامية، وفي هذا يقول زعيم المبشرين القس (زويمر): ليس غرض التبشير التنصير فقط . . . ولكن تفريغ القلب المسلم من الإيمان . . . وإن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسنا بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنا مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه عن مقومات دينه.

نتيجة التحرر:

ثم جاء الخطر الجسيم من المنادين بهذه الحركة والحاملين للوائها ممن ينتسبون للإسلام. وكانت نتيجة من اندفعن مع هذا التيار أن دفعن الثمن، ففقدت المرأة سعادتها وكرامتها كابنة وأم، وزوجة ذات رسالة في تربية النشء.

وخسرت الأسرة بذلك مقومات صلاحها وبقائها، بوصفها وحدة أولى ولبنة أساسية في المجتمع، بحكم ما أصاب الأسرة من طبيعة الصراع بين عنصريها الرجل والمرأة، فلم تعد السكن الهادئ ولا المنزل السعيد، والمسلمة الواعية تستشعر هذا الخطر المحدق بها، وتحرص على تجنبه وعدم الانزلاق فيه.

هبط الغرب على العالم الإسلامي بجيوشه وعساكره وهو يعلم بتجربة الحروب الصليبية أن تطويع هذا العالم لن يكون بالحروب بل يكون بإيجاد جيل جديد ينتمي إليه فكراً وعقيدة، فعمدوا من أجل ذلك إلى إنشاء المدارس الغربية التي تدرِّس اللغة والتاريخ والثقافة الغربية، وبعد ذلك عمدوا إلى إرسال خريجي هذه المدارس في بعثات خارجية إلى الجامعات التي تكفلت بما بقي من العقول الإسلامية كما تكفل الفساد المنتشر في البلاد التي سافرت إليها العقول بتضييع البقية الباقية من جيل شباب عاد ليخرب الأمة ويعمل على تحويل المجتمعات العربية الإسلامية إلى صورة من المجتمعات التي عاد منها.

وكان من بين الخريجين "قاسم أمين" المخرب الأول الذي عاد من الغرب بكل مفاهيمه ليطبقها على مجتمع لا يمت إليه بصلة، فطالب بتعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه الغرب لهدم الإسلام، " وقاسم أمين شاب نشأ في أسرة تركية مصرية فيه ذكاء غير عادي، حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة وهو في سن العشرين . . . ومن هناك التقطه الذين يبحثون عن الكفاءات النادرة والعبقريات الفذة ليفسدوها، ويفسدوا

الأمة من ورائها! التقطوه وابتعثوه إلى فرنسا . . . اطلع قبل ذهابه إلى فرنسا على رسالة لمستشرق يتهم الإسلام باحتقار المرأة وعدم الاعتراف بكيانها الإنساني ، وغلى الدم في عروقه ، كما يصف في مذكراته ، وقرر أن يرد على هذا المستشرق ويفند افتراءاته على الإسلام . ولكنه عاد بوجه غير الذي ذهب به! لقد أثرت رحلته إلى فرنسا في هذه السن المبكرة تأثيراً بالغاً في كيانه كله ، فعاد إلى مصر بفكر جديد ووجهة جديدة ، عاد يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه المستشرقون وهم يخططون لهدم الإسلام .

عاد ليطالب بنزع حجاب المرأة . . .

عاد ليطالب بتعليم المرأة وخروجها من بيتها . . .

عاد ليطالب باختلاط المرأة بالرجل . . .

لقد أدرك قاسم أمين أن الوصول إلى الغاية لن تأتي مرة واحدة، لذلك عمد هو ومن تبعه إلى أسلوبين:

١ - أسلوب التدرج حيث أنه لم يطالب في البداية بنزع حجاب الرأس كلياً ، بل نادى بسفور الوجه فقط ، ولم يطالب بتعليم المرأة لتصل إلى مستوى جامعي بل نادي بالتعليم الابتدائي ، ولكنه كان حريصاً في كل ما يكتب على أن يضع كلمة "الآن" التي تعني الاكتفاء بهذا الحد من المطلب وقت مطالبته به إلى آن آخر فيقول: " ربما يتوهم ناظر أنني أرى (الآن) رفع الحجاب بالمرة . . إنني لا أقصد رفع الحجاب (الآن) دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم . . وإنما أطلب (الآن) ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي " .

وهكذا تتطور الدعوة مع الزمن فمن المطالبة " بالمساواة في التعليم إلى المطالبة بالمساواة في الميراث ، ومن المطالبة بحريتها في الدخول والخروج والتنزه إلى المطالبة بحريتها في السفر وقضاء السنوات الطوال منفردة ، وافق زوجها أو لم يوافق ، ومن المطالبة بتقييد حق الرجل في التعدد إلى المطالبة بحقها هي في التعدد ثم حقها أن يكون لها الصديق التي ترتضيه " .

٢ - التشكيك بالنصوص القرآنية والدعوة إلى اللحاق بركب التطور ومن هنا كانت دعواهم إلى إعادة قراءة النصوص قراءة جديدة مراعين مبدأ تاريخية النصوص ونسبيتها ، حيث أن كثيراً من الأحكام لم تعد تلائم العصر المتطور حالياً ، فكما كان هناك رجال فقهاء اجتهدوا وفهموا النصوص القرآنية فهماً يوافق عصرهم ، نجد في عصرنا الحالي رجال " بل ونساء " ممكن أن يجتهدوا بالنصوص اجتهاداً معاصراً للواقع كثيراً ما رفع هؤلاء شعار "

هؤلاء رجال ونحن رجال " لرفض اجتهادات مثل اجتهاد الشافعي ومالك وغيرهما من الفقهاء واعتماد فتوى معاصرة مثل فتوى محمد شحرور الذي يرى أن الجيب الذي ورد في القرآن هو شِقُّ الإبط .

ومن النماذج المعاصرة عن هجومهم على النصوص القرآنية قول أحدهم: " اعتبرت الشريعة المرأة نصف إنسان ، فشهادة امرأتين بشهادة رجل ونصيب الرجل من الميراث نصيب امرأتين ، كان ذلك طفرة في العصر الذي نزلت فيه الشريعة الإسلامية ، بل إنه أكثر من طفرة ، غير أن ١٥ قرناً من الزمان كافية في الواقع أن تهيئ العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة " .

هذا باختصار السبيل الذي سلكوه من أجل الوصول إلى ما سَمَّوْهُ تحرير المرأة تحريراً كاملاً يجعلها متساوية مع الرجل في كل المجالات دون مراعاة للفروقات البيولوجية بين الإثنين ، ودون مراعاة لشرع أو دين ، لأن الشرائع تتطور أحكامها كما سبق أن أسلفنا .

أما أبرز ما دعا إليه هؤلاء فيكمن في نبذ كل ما يمنع هذه المساواة بين الجنسين ويكرس التفرقة على أساس الجنس ، لهذا رَأَوْا في بنود المساواة رفع حجاب المرأة ، اختلاطها بالرجال ، وتعليمها .

* * * * *

المبحث الثاني :
المرأة بين التحرير والتغرير

لقد أخذت قضية تحرير المرأة حيزاً مهماً من تفكير الناس في العصر الحالي حتى عُقدت من أجل هذه القضية المؤتمرات والندوات التي تطالب برفع الظلم عن المرأة وإعطائها حقوقها التي حرمتها منها الأديان والأعراف والتقاليد .

وقد استفحل هذا الأمر حتى خرج عن إطار اللهو والتسلية لبعض النساء الفارغات عن أي عمل لتنعكس آثاره الخطيرة على المرأة بالدرجة الأولى ، وإذا كنَّا في لحظة من اللحظات أُعجبنا بامرأة شابة تعمل شرطية على الطريق أو جندية تحمل السلاح ووجدنا في هذا الأمر قوة إرادة وتحدٍّ عند من فعلن هذا ، فإن الأمر خرج عن إطار التسلية عندما أصبحنا نرى امرأة أخرى عجوزاً تبحث في القمامة أو تجوب الشوارع تجر عربتها الثقيلة لتؤمن رغيف خبزها .

إن الأمر ، لم يعد لعبة ومزحة تتسلى بها الفتاة التي تخرجت من الجامعة لتثبت للناس أنه لا فرق بينها وبين الرجل في الذكاء والعطاء فتنافس الرجل في وظيفة وتتساوى معه في أجر

أو حتى تسلبه وظيفة بأجر أقل لتنفق ما تقبضه على الزينة والتبرج والترف بينما يكون الرجل الذي نافسته مسؤولاً عن أسرة، أو على الأقل يسعى لبناء أسرة.

إن العمل بالنسبة للفتاة يبقى في إطار تمضية الوقت وإثبات الذات فترة طويلة من الزمن، حتى تصبح ذات يوم فتجد أن الوظيفة التي كانت تتسلى بها أصبحت تأخذ منها كل وقتها (من الفجر إلى النجر) فلا حياة اجتماعية ولا أصدقاء ولا فرصة حتى للتعرف على فتى الأحلام، فهي تعود من العمل متعبة فتنام كالقتيل، هذا الأمر لم يعد يرضي أحداً! كيف ستمضي بقية عمرها! وكيف ستتعرف على فتى أحلامها الآتي على حصان أبيض! الأمر قد يطول على هذه الحالة! ولكن لا بديل آخر، فهي لا تستطيع أن تترك العمل وقد اعتادت أن تجد المال بين يديها ولا تستطيع أيضاً أن تعيش الفراغ في المنزل تنتظر فارس الأحلام الذي قد يتأخر في المجيء أو حتى لا يجيء! أما إذا جاء فانه يجيء بشروط، ففيما كان هو الذي يأتي على حصان أبيض لينقذ المرأة من وضعها الأسري، اختلف الوضع اليوم فأصبحت المرأة هي التي تأتي على حصان أبيض لتقدم للرجل حلولاً لمشاكله المادية، فيعملان معاً (من الفجر إلى الفجر) لكي يصبح العمل بالنسبة للمرأة واجباً وليس تطوعاً[1].

ما ورد كان نموذجاً عن وضع من أوضاع المرأة المتحررة اليوم، ذكرتها كمقدمة للحديث عن قضية تحرير المرأة.

* * * * *

المبحث الثالث:
من صور إغراء المرأة المسلمة: دفعها للمناداة بالمساواة مع الرجل!

مفهوم المساواة:

إن أصل هذا المطلب بدأ أيضاً مع الثورة النسوية في أوروبا حيث كان للمرأة بالفعل قضية، قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وفي ساعات العمل نفسها بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر.

هذا المطلب كان في البداية يمثل منتهى العدل، وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان، أما بعد ذلك فقد تطور هذا المطلب ليشمل المساواة في كل شيء، وهذا أمر، كما تعلمون، مستحيل هذا ببساطة لأن بينهما اختلافات حقيقية جسمية ونفسية، حتى ولو نجحت بعض النساء في

---

(١) د. نهى قاطرجي.

تبوء المراكز العالية وفي القيام بأعمال جسدية شاقة إلا أن هذا لا يعني أن كافة النساء يمكنهن أداء ذلك العمل أو يرغبن فيه . فمهما ارتقت " المرأة في مستواها العلمي والثقافي ومهما كانت دوافعها النفسية أو الاقتصادية للخروج إلى العمل ، تبقى رغبة المشاركة في تكوين أسرة إحدى أهم مكونات فطرتها الأصلية ، كما يشير الاستبيان الذي أُجْرِي بين الفتيات في بعض الدول العربية " .

وقد أكدت الدكتورة إلهام منصور ، إحدى مناصرات تحرير المرأة ، على هذا الأمر فقالت: " إن الثقافة كما لم تفعل بعد في الرجل اللبناني فهي كذلك لم تفعل بعد في المرأة اللبنانية التي تعتبر مثقفة لأن أغلب النساء المثقفات هن راضيات بوضعهن ، ويعملن على ترسيخه ، وينادين بوجوب إعطاء حقوق للرجل تفوق حقوق المرأة ، وهذا الواقع يدلنا دلالة مباشرة واضحة أن العلم بالنسبة للمرأة اللبنانية ليس سوى وسيلة للحصول على الزوج الأفضل وذلك لأن أغلب الشبان قد أصبحوا اليوم مثقفين ويفضلون الزوجات المثقفات ، والثقافة هنا تأخذ طابع الزيادة الخارجية عند المرأة فهي لا تنصهر مع شخصيتها كي تغيرها من الداخل " .

هذه الحقيقة في تباين أهداف المرأة والرجل أكد عليها الفيلسوف " أوجست كونت" أحد فلاسفة الغرب المعاصرين حيث يقول: " إن الرجل والمرأة يهدفان إلى آيات متباينة في الحياة ، فمرمى الرجل هو العمل وآية المرأة الحب والحنان " ، ويقول الفيلسوف أيضاً: " حتى في الزواج لا يوجد مساواة بين الرجل والمرأة ، لأن لهما حقوقاً وواجبات مختلفة فالرجل قَوّامٌ على البيت وهو الذي يعول المرأة ، لأن المرأة يجب أن تجرّد من هموم المادة " .

هذا الكلام الذي ورد على لسانهن ولسان فلاسفتهن يعتبر أكبر دليل على أن ما يطالبون به مخالف لفطرة الله سبحانه وتعالى ، والإسلام إنما جاء ليثبت هذه الحقيقة لا ليدعُوَ إلى أمر لا أساس له من الصحة ، فالإسلام كدين لا يهتم بمصالح فرد دون آخر ، وهو عندما بيَّن للمرأة حقوقها وواجباتها فرض على الرجل أيضاً حقوقاً وواجبات مغايرة تتناسب مع تركيب كل منهما البيولوجي والنفسي والجسد عدوة الفطرة ، "بينما العدل هو الذي يضع الموازين القسط لكل شيء ، ولكل علاقة ، فيعطي لكل شيء حقه ، حسب فطرته وأهليته ووظيفته التي وجد من أجلها .

فللمرأة إذن وظيفة تتناسب مع فطرتها التي فطرها الله عليها ، " وعناصر تكوينها أنها ذات بطن يلد وحضن يربي ، ومكانتها الفذة هي فيما فُطرت عليه فقط ، ومن الممكن توفير المساواة المطلوبة بينها وبين الرجل . ولكن ذلك يكون على حساب امتيازاتها . . والنتيجة

تحويلها إلى نوع جديد من الرجال " .

ويمكن أن أختم فكرة المساواة بلطيفة وردت في القرآن الكريم تدل على قمة المساواة والعدل وعدم التفرقة بين المرأة والرجل حيث وردت كلمة رجل مفردة ٢٤ مرة ، ووردت كلمة امرأة مفردة ٢٤ مرة أيضاً ، قمة المساواة .

فما جاء به الإسلام من تشريعات لابد أن يخضع إليها المسلم وينقاد لها وقلبه مطمئن بالإيمان ، مستسلم تمام الاستلام ؛ لا كما يريده الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . . وليس كما يريده دعاة التحلل والانسلاخ والشهوات المنحرفة ودعاة تسوية المرأة بالرجل ، الذين يريدون أن تصبح المرأة كالرجل لا فروق بينهما ، لكنهم في قرارات أنفسهم يدركون هذا التفاوت ، ويقرون بفطريته . .

"و كل مسلم فهم الإسلام يعرف تكريم الإسلام للمرأة ، أمًا كانت أو بنتا أو زوجة أو أختا ، وأنه قرر لكل واحدة منهن من الحقوق والبر والرحمة ، ما يقنع المرأة المسلمة ويرضيها ، وما لم تتطلع إلى أكثر منه ، وذلك عين العدل والحكمة " .

إن كل من يحاول تسوية المرأة بالرجل "إنما أتي في نظري من تأثره بالحضارة الغربية المزيفة ومن غلوه في قضايا المرأة متناسيا التفاوت بين الرجل والمرأة الذي بينه القرآن والسنة والواقع والتاريخ الإنساني وأن هذا التفاوت بين الذكر والأنثى بارز حتى في الحيونات صغيرها وكبيرها .

فالقرآن فاوت بين الرجل والمرأة في المواريث فالأخ يأخذ ضعف ما تأخذه أخته من الميراث" و" الإسلام يفرض على المرأة أن لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه"لقد أكرم الإسلام المرأة وأعطاها حقوقها التي تليق بها كاملة نظريا يرافقه التطبيق بكل ما في التطبيق من عدالة ودقة ، وصحح أوضاعها جميعا ، ولو كانت المناصب الكبيرة والصغيرة في الدولة ، من حقوق النساء لما توقف رسول الله ﷺ عن بيانها وتوضيحها وتنفيذها بعزم وقوة "كل هذه التشريعات حق وعدل وحكمة ووضع للأمور في نصابها والإسلام حين يشرع هذه التشريعات العادلة الخالدة لا يتملق أصحاب الشهوات والأهواء الجامحة ، ولا يتنزل إلى رغبات النفوس المريضة والعقول المخبولة ، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [1] و قال تعالى - بعد ذكر تشريعات عظيمة - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(١) المؤمنون: ٧١ .

الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ [١] .

فليحذر الذين يستمعون لكل ناعق ، فإن أصحاب إثارة هذه المسائل يريدون زعزعة تماسك المرأة أولاً باعتبارها أمًا أو بنتا أو زوجة أو أختا ، ثم زعزعة أركان الأسرة وضرب استقرارها ثم تفكيك المجتمع وإقصاء الإسلام من حياة المسلمين في حياتهم اليومية . . ، لأنهم عَلموا حقيقة مكانة المرأة في المجتمع المسلم ودورها الفعال في تماسك الأسرة ثم المجتمع ثم الدولة ، وبقاء الإسلام عزيزاً مصانا محترما[٢] .

* * * * *

المبحث الرابع :
الاختلاط بين الجنسين وتحريمه من الكتاب والسنة

الاختلاط:

الاختلاط باب من أبواب الشر ، يبدأ بالنظرات ، ثم الابتسامات والسلامات والكلمات ، وينتهي باللقاءات ، ثم المصائب والفضائح والنكبات ، والاختلاط حبل من حبائل الشيطان يزين به للناس الشر ، ويلبس عليهم بأنه شيء صغير حقير ، فيندفع أصحاب الهوى إليه غافلين عن شرره ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . وقد حذرنا الله - تعالى - فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[٣] .

معنى الاختلاط:

الاختلاط الفاسد هو اجتماع النساء والرجال الذين ليسوا بمحارم لهن في مكان واحد دون التزام للضوابط الشرعية ، من غض البصر وقول المعروف وعدم الخضوع بالقول وتجنب إبداء زينة المرأة وغير ذلك من الآداب الشرعية وهذا الاختلاط الفاسد يمكنهم فيه الاتصال بالنظر أو الإشارة ، أو بالكلام ، أو بالملامسة ، مما يوقع في الريبة والفساد .

الاختلاط عادة جاهلية:

والاختلاط بهذا المعنى الذميم عادة جاهلية قديمة ، جاء الإسلام فوضع له الحدود والضوابط ، وظل المسلمون محافظين على حدود الحشمة وآداب العفة ، وصيانة الحرمات

---

(١) النساء: ٢٧ .

(٢) د . نهى قاطرجي .

(٣) النور: ٢١ .

والأعراض، حتى غزت أوروبا بلاد المسلمين فأشاعوا فكرة الاختلاط الفاسد من جديد. وقد أرادوا أن يمحوا الروح الإسلامية السائدة في المجتمع الإسلامي.

وقد اتخذ أعداء الأمة من بعض المثقفين الذين سافروا إلى أوربا، وحصَّلوا العلم هناك ناصرًا لمآربهم ومعينًا لتحقيق أهدافهم، حيث نادوا بالاختلاط الذميم وادعوا أنه ضرورة نفسية واجتماعية، وحجتهم في ذلك أنه يمنع العقد، والشعور بالخجل تجاه الجنس الآخر، وأن منعه حرمان خطير، فهو يؤدي إلى الإشباع العاطفي، ويعلم الذوق، وفن التعامل الراقي!!

ومن ثم ذم هؤلاء وأتباعهم التحجب، واستقرار المرأة في بيتها، وقد ظهر هذا في تعليمات مدارس التبشير التي أنشئت خصيصًا لهذه الغاية، والتي تستند في إعادة تشكيل المرأة المسلمة على النمط الغربي الذي تتلاشى فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة، ومن ثم الدين والعقيدة والأخلاق.

وعمدوا إلى القرآن والسنة، يحاولون لي أعناق النصوص حتى تتمشى مع أهوائهم حتى يخدعوا عوام الناس، فضلوا وأضلوا، وهكذا نمت بذرة السفور والاختلاط المحرم في المجتمع المسلم، وأصبح مجتمعًا ممسوخًا يمثل نسخة باهتة من المجتمع الغربي ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ﴾[1].

آثار الاختلاط:

والاختلاط الفاسد شرٌّ كله، فهو يبدد طاقات الشباب، ويقتل ملكاتهم، ويصيبهم باليأس والإحباط، بالإضافة إلى التفكك والضياع وانتشار الجرائم والفساد وسقوط المجتمع فريسة للرذيلة والانهيار، وهذه كلها أمور من الطبيعي أن تحدث في مجتمع عمد إلى الاختلاط فاتخذه سبيلاً! فهل رأيت إنسانًا قفز في البحر ثم خرج منه دون أن يبتل؟! وهل يلقي أحدنا بنفسه في النار دون أن يحترق؟!

العلاج الأمثل:

وفي العودة إلى الإسلام ومبادئه السامية العلاج الأمثل لهذه الأخطار، حيث يوضح الإسلام أن خير حجاب للمرأة بيتها، ولم يبح الاختلاط بدون ضوابط.

وقد حرص المسلمون الأُول على آداب الاختلاط، حتى إنهم كانوا إذا انتهوا من

---

(١) النساء: ١٤٣.

صلاتهم مكثوا قليلا حتى تخرج النساء قبلهم ، خوفًا من الوقوع فيما حرمه الله من النظر غير المباح أو الملامسة غير المشروعة أو نحو ذلك ، وذلك أدعى لجلب المصالح ، ودرء المفاسد ، وغلق منافذ الشيطان .

موقف الإسلام:

وقد يتساءل البعض هل نحجر على المرأة ونحبسها في بيتها ، ونجعلها أسيرة جدرانه باسم الإسلام؟

والحقيقة أن الالتزام بالدين ليس حجرًا على المرأة ، وليس قيدًا عليها ، فلقد شهدت عصور الإسلام الزاهرة ما يخالف هذا الرأي الجائر ، فقد كانت النساء تشهد الجماعة والجمعة في مسجد الرسول (وتسمع الخطبة والعلم ، حتى إن أم هشام بنت حارثة حفظت سورة (ق) من فم الرسول من كثرة ما سمعتها من فوق منبر الجمعة .

وفي رواية لأم عطية قالت: سمعت رسول الله يقول: «**يخرج العواتق اللائي لم يتزوجن، وذوات الخدور** - يعنى الزوجات - **والحيض، ليشهدن الخير ودعوة المؤمنين، ويعتزل الحيض المصلى**»[(١)] تعني بذلك خروج النساء لشهود صلاة العيد .

وكانت النساء يحضرن دروس العلم وتسألن عن أمور دينهن ، وامتد هذا النشاط النسائي إلى المشاركة في خدمة الجيش والمجاهدين ، فعن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع النبي سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى[(٢)] . بل صح عن نساء بعض الصحابة أنهن شاركن في بعض الغزوات والمعارك الإسلامية بحمل السلاح ، عندما أتيحت لهن الفرصة ، ومن ذلك ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب يوم أحد حتى أشاد الرسول بما قامت به من أعمال[(٣)] ، وكذلك اتخذت أم سليم خنجرًا يوم أحد تبقر به بطن من يقترب منها .

ضوابط الاختلاط:

إن اللقاء بين الرجال والنساء جائز إذا كان الهدف هو المشاركة في غاية كريمة تتطلب جهودًا متضافرة من الجنسين ، ولكن في إطار الحدود التي رسمها الإسلام وبينها لعباده لما فيه صلاحهم وسعادتهم ومن ذلك:

---

(١) متفق عليه .

(٢) ابن ماجه .

(٣) الذهبي في سير أعلام النبلاء .

(١) وجود الضرورة أو السبب النبيل الموافق للشرع، وحبذا لو وجد محرم للمرأة معها.

(٢) عدم الإسراف أو التوسع في خروج المرأة إلا لسبب جائز.

(٣) الالتزام بغض البصر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[1].

(٤) التزام المسلمة بالزي الشرعي الذي يصون كرامتها ويحفظ حياءها، ويكون عنوانًا لوقارها.

(٥) أن تتجنب الزينة التي تقود لارتكاب الفواحش والمنكرات.

(٦) الالتزام بآداب الإسلام في حركاتها وسكناتها، وفي وقوفها ومشيها، وفي كلامها وصمتها.

وهكذا يصون الإسلام كرامة المرأة، وعفتها، ويحقق لها طهرها ونقاءها، ويرفع من قدرها ومكانتها، في مقابل زيف نداءات العصرية والمدنية والحرية المزعومة التي أشاعت الفساد على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات.

قال الدكتور مفرح القوسي - وفقه الله -: "لقد دل الكتاب والسنة على منع الاختلاط بين الجنسين وتحريمه وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه، ودليل ذلك من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾[2]، حيث أمر سبحانه أمهات المؤمنين - وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك - بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد، لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى شرور عدة كالتبرج والخلوة بالأجنبي، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر، وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ، ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة، وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

القلوب ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ويرشد إلى الحق والصواب .

وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً ، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ، ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها ، وخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه .

٢ - وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[1] ، حيث أمر عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام - وهو المبلغ عن ربه - أن يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب إذا أردن الخروج لحاجة لئلا تحصل لهن الأذية من مرضى القلوب .

فإذا كان الأمر بهذه المثابة فما بالك بنزولها إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم وإبداء حاجتها إليهم بحكم الوظيفة ، والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل إلى مستواهم ، وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة .

٣ - وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[2] ، حيث يأمر سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض البصر وحفظ الفرج عن الزنا ، ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم . ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ، ولا شك أن اختلاط النساء بالرجال ؛ والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها وإطلاق البصر - الذي هو من لوازم هذا الاختلاط - من أعظم وسائل وقوع الفاحشة ، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة له في العمل في مختلف مجالاته وميادينه . فاقتحامها هذا الميدان أو اقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها .

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها ، لأن الجيب محل الرأس والوجه ، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩ .

(٢) سورة النور: ٣٠ .

إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال، والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير، وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما يقوم به؟!!.

والإسلام يحرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة، ولذلك نجده حرم على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي إلى الطمع فيهن كما في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[1]، يعني مرض الشهوة، فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط؟!!.

ومن البديهي أن المرأة إذا نزلت إلى ميدان الرجال لابد أن تكلمهم وأن يكلموها، ولابد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، والله حكيم عليم حين أمر المرأة بالحجاب والبعد عن الاختلاط، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر، فالحجاب واجتناب الاختلاط يمنع بإذن الله من الفتنة ويحجز دواعيها وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء والبعد عن مظان التهمة[2].

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية[3]، فهذا يدل على أن سؤال أي شيء من النساء الأجنبيات إنما يكون من خلف ستر يستر الرجال عن النساء والنساء عن الرجال. وخير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها الذي يحجبها عن الرجال الأجانب؛ بحيث لا يروا شيئاً من جسدها، ولا شيئاً من لباسها ولا زينتها الظاهرة ولا الباطنة.

وأما دليل ذلك من السنة فهو ما يلي:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[4]، حيث يرشد هنا النبي ﷺ إلى ضرورة إبعاد الرجال عن النساء في الصلاة التي أقرب ما يكون فيها المسلم إلى ربه، حيث تضعف شهوات النفس وتخف وساوس الشيطان وإغوائه ويكون المسلم فيها والمسلمة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٢) انظر: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية ص ٢٠ - ٢٢، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار طيبة - الرياض.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (تسوية الصفوف وإقامتها) ج٤/ ص ١٥٩.

أبعد عن مواضع الفتنة والريبة ، فكيف في غير الصلاة؟!! ، فهذا مما يدل على ضرورة منع الاختلاط بين الجنسين في ميادين العمل وغيرها .

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها**»(١) ، قال الطيبي: "والمعنى المتبادر أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس ، فإذا خرجت طمع وأطمع ، لأنها حبائله وأعظم فخوخه"(٢) ، وقال المنذري: فيستشرفها الشيطان "أي ينتصب ويرفع بصره إليها ويَهمُّ بها ، لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها ، وهو خروجها من بيتها"(٣) .

٣ - وما روي عن أم حميد الساعدية رضي الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك ، فقال: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي**»(٤) .

فهذه الصحابية امرأة صالحة تقية ذات خلق ودين ، ومع ذلك بيَّن لها ﷺ الحق والخير في أي الأماكن تكون صلاتها فيه أفضل وأبقى ، وذكر لها على الترتيب الأماكن التي يتميز بعضها عن بعض في الخير ، وهي: بيتها ، والمراد به هنا: المكان الذي تكون فيه المرأة أكثر ستراً وبعداً عن أعين الناس ، وهو مكان مبيتها مع زوجها الذي لا يراها فيه أحد سواه ، ثم حجرتها - ويظهر من الحديث أنها أقل من البيت ستراً وصوناً ، وبعد حجرتها دارها ، وهي التي تكون فيه بعيدة عن أنظار الرجال الأجانب ، وبعد الدار مسجد قومها ، لأنه أقرب المساجد إلى سكنها ، والنزول إليه لا يقتضي منها السير كثيراً ، فاستشراف الشيطان لها فيه

---

(١) رواه الترمذي في سننه في (أبواب الرضاع) ، الباب رقم (١٨) برقم (١١٨٣) ، وقال: "حديث حسن صحيح غريب" ج٢/ ص٣١٩ . وقال كل من الهيثمي والمنذري: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمر ، ورجاله رجال الصحيح . انظر: مجمع الزوائد ج٤/ ص٣١٤ ، والترغيب والترهيب ج١/ ص٣٠٤ .

(٢) المناوي - فيض القدير ج٦/ ص٢٦٦ ، ط دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

(٣) الترغيب والترهيب ج١/ ص ٣٠٦ .

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب (الإمامة في الصلاة) ، الباب (١٧٧) ، الحديث رقم (١٦٨٩) ج٣/ ص٩٥ . كما رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٢١٤) ج٣/ ص ٣١٨ ، وعزاه الحافظ ابن حجر في (الفتح) إلى الإمام أحمد والطبراني ، وقال: "وإسناد أحمد حسن ، وله شاهد من حديث أبي مسعود عند أبي داود" ج٢/ ص ٣٥٠ .

أقل في المساحة والزمن، وبعد مسجد قومها يأتي مسجده ﷺ، وهو أبعد فتضطر معه إلى السير لمسافة أطول، وحينئذ يكون استشراف الشيطان لها أطول مدة وأشد تمكيناً، ولذا نصحها ﷺ بالصلاة في بيتها، لأنه أشد الأماكن ستراً لها وبعداً عن مخالطة الرجال الأجانب، ومنه يتبين حرص النبي ﷺ على صيانة المرأة إلى هذا الحد الذي ليس وراءه ما بعده، لأنه مدرك لما ينتج عن خروجها من بيتها من أخطار على الفرد والأسرة والمجتمع.

وإذا كان خروج المرأة الصالحة التقية للصلاة مع رسول الله ﷺ في مسجده غير مستحب، فما القول في خروج النساء إلى الأندية وميادين الدراسة والعمل وساحات السياسة ومسيرات الاحتجاج وغيرها مما ينادي أصحاب هذه الدعوى إلى خروج المرأة المسلمة إليها؟!!.

٤ - الأحاديث التي يحذر فيها النبي ﷺ من الدخول على النساء والخلوة بهن، ومن ذلك: ما روي عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو[1]؟ قال: «**الحمو الموت**»[2].

وما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[3].

وما روي عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[4].

ومن المعلوم لكل مجرب أنه يستحيل التحرز عن الوقوع فيما حذرت عنه هذه الأحاديث في تلك المجتمعات التي تجيز اختلاط الجنسين ببعضهما في ميادين العمل والتعليم ونحوها.

---

(١) الحمو: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح)، الباب (١١١)، الحديث رقم (٥٢٣٢) ج٩/ ص٣٣٠. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (السلام)، باب (تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها) ج ١٤/ ص ١٥٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح)، الباب (١١١)، الحديث رقم (٥٢٣٣) ج٩/ ص٣٣٠ - ٣٣١. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الحج)، باب (سفر المرأة مع محرم إلى حج أو غيره) ج٩/ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ج٣/ ص ٤٤٦، ورواه الترمذي في سننه من حديث عمر رضي الله عنه في (أبوب الفتن)، باب (ما جاء في لزوم الجماعة) برقم (٢٢٥٤) ج٣/ ص٣١٥، وقال: "حديث حسن صحيح غريب". ورواه الحاكم في المستدرك وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين" ج١/ ص ١٩٨.

٥ - الأحاديث التي تأمر بغض البصر، وهي عديدة، منها: ما روي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري"[(١)].

وما روي عن بريدة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[(٢)].

وما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر"[(٣)].

وكذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: "كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: «**احتجبا منه**»، فقلنا: يا رسول الله ألَيس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟، فقال ﷺ: «**أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه**»[(٤)].

ومما لا شك فيه أنه لن يتسنى للرجال ولا للنساء غض البصر في ظل إباحة اختلاطهما ببعضهما في ميادين العمل والتعليم وغيرها ولو كان ذلك بقصد تبليغ الدعوة الإسلامية.

ثانياً: لقد فقه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الأدلة الشرعية الدالة على تحريم الاختلاط وامتثلوا لها، فاجتنبوا الاختلاط ومنعوه. ومما نُقل عنهم في هذا الجانب يُثبت هذا ويقرره، ومن ذلك ما يلي:

١ - روي أنه دخلت على عائشة رضي الله عنها مولاة لها، فقالت لها: "يا أم المؤمنين

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الآداب)، باب (نظر الفجأة) ج١٤/ ص١٣٨ - ١٣٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٥/ ص٣٥٣، ٣٥٧. ورواه أبو داود في سننه في كتاب (النكاح)، باب (ما يؤمر به من غض البصر) ج٢/ ص٢٤٦، الحديث رقم (٢١٤٩). ورواه الترمذي في سننه في (أبواب الاستئذان والآداب)، باب (ما جاء في نظرة الفجاءة) ج٤/ ص١٩١، الحديث رقم (٢٩٢٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب". ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ج٢/ ص٢١٢.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الحج)، باب (الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما) ج٩/ ص٩٧.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ج٦/ ص٢٩٦. وأبو داود في سننه في كتاب (اللباس)، باب (في قوله عز وجل: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) ج٤/ ص٦٣ - ٦٤، الحديث رقم (٤١١٢). والترمذي في سننه في (أبواب الاستئذان والآداب)، باب (ما جاء في احتجاب النساء من الرجال)، ج٤/ ص١٩١ - ١٩٢، الحديث رقم (٢٩٢٨)، وقال: "حديث حسن صحيح".

طفتُ بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً، فقالت لها عائشة: لا آجركِ الله، لا آجركِ الله، تدافعين الرجال؟!!، ألا كَبَّرتِ ومررت"[١].

٢ - كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الغيرة على النساء، فهو الذي أشار على النبي ﷺ بحجب نسائه فوافقه القرآن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب"[٢]، وكان رضي الله عنه "ينهى الرجال عن الدخول إلى المسجد من باب النساء"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "روى الفاكهي من طريق زائدة عن إبراهيم النخعي قال: نهى عمران أن يطوف الرجال مع النساء، قال: فرأى رجلاً معهن فضربه بالدرة"[٤].

٣ - وعن ابن جريج أنه قال: أخبرني عطاء - إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال - قال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال؟، قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: أي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حَجْرة[٥] من الرجال لا تخالطهم[٦]. وهذا مما يدل على حرص النساء في صدر الإسلام على عدم مزاحمة الرجال أو الاختلاط بهم حتى في المطاف بالمسجد الحرام.

٤ - وروي أنه قيل لسودة رضي الله عنها: "ألا تحجين وتعتمرين كما يفعل أخواتك، فقالت: قد حججت واعتمرت فأمرني الله أن أقرَّ في بيتي. قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها رضوان الله عليها"[٧].

٥ - وأُثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال مستنكراً اختلاط النساء

---

(١) رواه الإمام الشافعي في مسنده ص ١٢٧، ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (التفسير)، الباب (٨)، الحديث رقم (٤٧٩٠) ج٨/ ص ٥٢٧.

(٣) عبد الوهاب الشعراني - كشف الغمة عن جميع الأمة ج١/ ص١٠٤، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر.

(٤) فتح الباري ج٣/ ص ٤٨٠.

(٥) حجرة: بفتح الحاء وسكون الجيم، أي ناحية، وهو مأخوذ من قولهم: نزل فلان حجرة من الناس، أي: معتزلاً. انظر: لسان العرب، مادة (حجر).

(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (الحج)، الباب (٦٤)، الحديث رقم (١٦١٨)، ج٣/ ص٤٧٩ - ٤٨٠.

(٧) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج١٤/ ص١٨٠ - ١٨١. والشوكاني - فتح القدير ج٤/ ص٢٨١.

بالرجال: "ألا تستحيون ألا تغارون أن يخرج نساؤكم؟ ، فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العُلوج[١]" [٢] .

٦ - وروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن زوجته عاتكة بنت زيد شرطت عليه ألا يمنعها الخروج إلى المسجد فأجابها ، فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخر شق ذلك عليه ولم يمنعها ، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها ، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه ، فلما مرت ضرب بيده على عَجُزها فنفرت من ذلك ولم تخرج بعدُ[٣] .

٧ - وعن أبي عمر الشيباني أنه رأى عبد الله بن مسعود يُخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: "أُخرجن إلى بيوتكن فهو خير لكُنَّ" [٤] . وعنه رضي الله عنه أنه قال - حاثاً المرأة على قرارها في بيتها -: "إنما النساء عورة ، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان ، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته ، وإن المرأة لتلبس ثيابها ، فيقال: أين تريدين؟ ، فتقول: أعود مريضاً ، أو أشهد جنازة ، أو أصلي في مسجد ، وما عَبَدت امرأة ربها بمثل أن تعبده في بيتها" [٥] .

وبعد: فكيف يقال بعد كل ما تقدم إن الإسلام لم يمنع الاختلاط ولم يمنعه رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام؟!! ، إن هذا إلا محض افتراء لا يُقبل صدوره من مسلم عنده أدنى فقه لنصوص الشريعة وأحكامها ومعرفة لِسِيَر الصدر الأول للإسلام .

ثالثاً: إطلاق القول بأن مجتمعات المسلمين في عهد النبي ﷺ وعهد صحابته رضوان الله عليهم مجتمعات مختلطة في المساجد والأسواق ومجالس العلم وساحات الجهاد ومجالس التشاور في أمور المسلمين . . . إلخ ، إطلاق غير سديد ولا سليم .

أما في المساجد والطرقات ، فلم يكن فيها اختلاط بين الرجال والنساء بالصورة التي يريدها دعاة الاختلاط ، لأن الرجال كانوا في زمن النبي ﷺ وصحابته يُصَلُّون في مقدمة المسجد والنساء في مؤخرته مع عنايتهن بالحجاب والتحفظ من كل ما يثير الفتنة ، وكان النبي ﷺ يذهب إليهن في يوم العيد بعدما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن لبعدهن عن سماع

---

(١) العُلوج: جمع علْج ، وهو الرجل من كفار العجم ، أو الضخم القوي .

(٢) ابن الجوزي - أحكام النساء ص ٣٤ ، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) انظر: ابن الأثير الجزري - أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٦/ ١٨٥ ، ط دار الفكر - بيروت .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٩/ ص ٢٩٤ ، الحديث رقم (٩٤٧٥) . وروى البيهقي نحوه في السنن الكبرى عن سعد بن إياس ج٣/ ص ١٨٦ .

(٥) رواه الطبراني في (المعجم الكبير) برقم (٩٤٨٠) ج٩/ ص٢٩٤ ، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات" - مجمع الزوائد ج٢/ ص٣٥ ، وقال المنذري: "إسناده حسن" - الترغيب والترهيب ج١/ ص ٣٠٥ .

خطبته، فعن عبد الرحمن بن عابس أنه قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قيل له: "أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولولا مكاني من الصغر ما شهدتُه، حتى أتى العَلَم الذي عند دار كثير ابن الصامت فصلى ثم خطب، ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكّرهن وأمرهن بالصدقة"(١).

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: (ثم أتى النساء) يُشعر بأن النساء كن على حدة من الرجال غير مختلطات بهم، وقوله (ومعه بلال) فيه أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه، لأن بلالاً كان خادم النبي ﷺ ومتولي قبض الصدقة، وأما ابن عباس فقد تقدم أن ذلك اغتفر له بسبب صغره"(٢).

ولم يقتصر منع الاختلاط بين الرجال والنساء على الجمع الكثير فحسب، بل تناول ذلك المرأة الواحدة إذا صلت مع الرجال، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: "صلى النبي ﷺ في بيت أم سليم، فقمتُ ويتيم خلفه، وأم سليم خلفنا"(٣).

وقد خصص ﷺ في مسجده باباً للنساء يدخلن ويخرجن منه لا يخالطهن فيه الرجال، فقد ترجم أبو داود في سننه باباً بقوله (باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال)، ثم روى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تركنا هذا الباب للنساء**»(٤)، قال نافع تلميذ عبد الله بن عمر: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات".

وكان الرجال في عهده ﷺ يؤمرون بالتريث في الانصراف حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد لئلا يختلط بهن الرجال في الطريق من المسجد إلى البيت مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساءً من الإيمان والتقوى. فعن هند بنت الحارث أن أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا سَلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم.

قال الإمام الزهري رحمه الله: نَرَى - والله أعلم - أن ذلك كان لكي ينصرف النساء

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (العيدين)، الباب (١٨)، الحديث رقم (٩٧٧) ج٢/ ص٤٦٥.

(٢) فتح الباري ج٢/ ص ٤٦٦.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأذان)، الباب (١٦٤)، الحديث رقم (٨٧١)، ج٢/ ص٣٥١.

(٤) سنن أبي داود، كتاب (الصلاة)، باب (في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال)، الحديث رقم (٤٦٢)، ج١/ ص١٢٦. وقد صحح الشيخ الألباني الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وذلك في (صحيح الجامع الصغير) ج٥/ ص٦١، برقم (٥١٣٤).

قبل أن يدركهن أحد من الرجال"[١] . وفي رواية أخرى: "كان ﷺ يُسَلِّم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ "[٢] .

يقول الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث الاحتياط في اجتناب ما قد يُفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت"[٣] .

ويقول ابن قدامة: "إذا كان مع الإمام رجال ونساء، فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يَرَى أنهن قد انصرفن، ويقمن هن عقب تسليمه"، ثم يتابع قائلاً - عقب الاستشهاد بالحديث المذكور آنفاً -: "لأن الإخلال بذلك من أحد الفريقين يُفضي إلى اختلاط الرجال بالنساء"[٤] .

وكان يُؤْذَن للنساء في الخروج إلى المساجد في الليل لكونه أستر وأخفى وأبعد عن الفتنة . يقول ﷺ : «**ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد**»[٥] ، ويُروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من الغلس"[٦] .

كما كان يُطلب منهن اجتناب الطيب والزينة لكونهما من دواعي الفتنة، يقول ﷺ : «**إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تَمسَّ طيباً**»[٧] ، ويقول: «**أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**»[٨] . ولقد تنبهت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى خطر تساهل المرأة في خروجها من بيتها فقالت: "لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل"[٩] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب (الأذان)، الباب (١٦٤)، الحديث رقم (٨٧٠) ج٢/ ص٣٥٠ - ٣٥١ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب (الأذان)، الباب (١٥٧)، الحديث رقم (٨٥٠) ج٢/ ص ٣٣٤ .
(٣) فتح الباري ج٢/ ص ٣٣٦ .
(٤) المغني ج٢/ ص ٢٥٤ .
(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٢ .
(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (مواقيت الصلاة)، الباب (٢٧)، الحديث رقم (٥٧٨)، ج٢/ ص٥٤ . ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها) ج٥/ ص١٤٣ - ١٤٤ .
(٧) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٣ .
(٨) رواه مسلم في صحيحه في الموضع السابق، ج٤/ ص ١٦٣ .
(٩) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (الأذان)، الباب (١٦٣)، الحديث رقم (٨٦٩)، ج٢/ ص٣٤٩ . ورواه مسلم في صحيحه - واللفظ له - في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٣ - ١٦٤ .

وكان النبي ﷺ ينهى النساء أن يتوسطن الطريق ويأمرهن بلزوم حافاته حذراً من الاختلاط بالرجال والفتنة بمماسة بعضهم بعضاً أثناء السير في الطريق، فعن أبي أُسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء في الطريق: «**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن(١) الطريق، عليكن بحافات الطريق**»، فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٢].

وأما مجالس العلم فقد كان النساء في عهده ﷺ لا يختلطن فيه بالرجال الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويُرشد القرآن والسنة علماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، فقد كن يجلسن - في معزل عن الرجال - في مؤخرة المسجد[٣]، فيسمعن المواعظ والخطب ويتعلمن أحكام دينهن، مع عنايتهن بالحجاب وإخفاء الزينة، فأين هذا مما ينادي به اليوم دعاة التحديث من اختلاط الجنسين في التعليم وغيره؟، فكيف يجوز لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول إن جلوس الطالبة بحذاء الطالب في كرسي الدراسة مثل جلوس الصحابيات مع أخواتهن في مؤخرة المسجد لسماع الذكر وتعلم أحكام الدين؟، هذا لو سلمنا بوجود الحجاب الشرعي المتضمن تغطية الوجه والكفين، فكيف إذا كان جلوسها مع الطالب في كرسي الدراسة مع كشف الوجه والكفين وإظهار الزينة والمحاسن، وغير ذلك مما يجر إلى الفتنة ويُوقع في المحذور؟!!.

ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة، ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير من بَيَّنهم الله سبحانه في قوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء﴾[٤].

ولهذا دعا المصلحون إلى إفراد النساء عن الرجال في دور التعليم، وأن يكُنَّ على حدة

---

(١) تحققن الطريق: أي تتوسطنه. انظر: لسان العرب، مادة (حقق).

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب (الأدب)، باب (في مشي النساء مع الرجال في الطريق)، الحديث رقم (٥٢٧٢) ج٤/ ص٣٦٩، وقد حسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٩٤٢) ج١/ ص٣١٧.

(٣) إلى الحد الذي يضطر معه النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً إلى القيام إليهن لعدم قدرتهن على سماع صوته لبعدهن عنه، كما مر معنا قبل قليل.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

والشباب على حدة حتى يَتمكنَّ من تلقي العلم من المدرسات بكل راحة من غير حجاب ولا مشقة، لأن تلقي العلوم من المدرسات في محل خاص أصون للجميع وأبعد لهن من أسباب الفتنة وأسلم للشباب من الفتنة، ولأن انفراد الشباب في دور التعليم عن الفتيات مع كونه أسلم لهم من الفتنة فهو أقرب إلى عنايتهم بدروسهم وشغلهم بها وحسن الاستماع إلى الأساتذة وتلقي العلوم عنهم بعيدين عن ملاحظة الفتيات والانشغال بهن[(١)].

وأما ساحات الجهاد فيجيب عنها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قائلاً: "قد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها ومرماها إلا من نَوَّر الله قلبه وتفقه في دين الله وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض، وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض. ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات. والجواب عن ذلك: أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يُخشى عليهن من الفساد، لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته، بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العمل يختلف تماماً عن الحالة التي خرجن بها مع الرسول ﷺ في الغزو، فقياس هذه على تلك يُعتبر قياساً مع الفارق. وأيضاً فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم وأقرب إلى التطبيق العلمي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ فما هو الذي نُقل عنهم على مدار الزمن؟، هل وَسَّعُوا الدائرة كما يُنادي دعاة الاختلاط فنقلوا ما ورد في ذلك إلى أن تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الحياة مع الرجال تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها، أم أنهم فهموا أن تلك قضايا معينة لا تتعداها إلى غيرها؟. وإذا استعرضنا الفتوحات الإسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة[(٢)]"[(٣)].

وأما مجالس التشاور في أمور المسلمين، فلم تكن المرأة قط عضواً فيها في صدر الإسلام، فهي - مثلاً - لم تشارك الصحابة في اجتماع سقيفة بني ساعدة إثر وفاة الرسول ﷺ للتشاور فيمن يختارونه خليفة لهم، ولم يحدث أن جمع الخلفاء الراشدون النساء لاستشارتهن في قضايا الدولة وشؤون المسلمين كما كانوا يفعلون مع الرجال، ولا نعلم في

(١) انظر: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز / الرسائل والفتاوى النسائية ص ٣٢، ٣٧.

(٢) يعني: ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء.

(٣) الرسائل والفتاوى النسائية ص ٢٣ - ٢٤. وأشنع من ذلك أن يحتج البعض على جواز دخول المرأة للعسكرية بهذه الحوادث الفردية المقيدة! انظر: رسالة "القصيبي من القصص الموضوعة إلى الأحاديث الصحيحة" لسليمان الخراشي، منشورة في موقع (صيد صيد الفوائد) على شبكة الإنترنت.

تاريخ الإسلام كله أن المرأة كانت تسير مع الرجل جنباً إلى جنب في إدارة شؤون الدولة وسياستها، وكل ما يرويه التاريخ لنا هو أن النبي ﷺ أخذ بيعة النساء يوم فتح مكة من دون أن يصافحهن[١].

ومن زعم أن هذا يدل على اختلاط النساء بالرجال في صدر الإسلام للمشاركة في سياسة الدولة والإسهام في حل قضايا المسلمين وشؤونهم فقد أخطأ وحَمَّلَ وقائع التاريخ ما لا تحتمل.

نعم وقع في بعض أدوار التاريخ الإسلامي أن شاركت المرأة في بعض قضايا الدولة وشؤونها، وكان لبعضهن مشورة في بعض أمور المسلمين، ولكن هذه تصرفات ووقائع نادرة لمناسبات خاصة تُقَدَّر بقدرها لا يُبنى عليها حكم ولا تأخذ حكم القاعدة. وأحكام الإسلام إنما تؤخذ من نص ثابت في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، أو قياس صحيح عليهما، أو إجماع التقى عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم، وعليه فلا يصح الاستدلال بالتصرفات الفردية من آحاد الناس، حتى ولو كان أصحابها من الصحابة[٢] رضوان الله عليهم أو التابعين من بعدهم. فمن المقطوع به أن تصرفات هؤلاء جميعاً توزن بميزان الشرع الإسلامي، وليس الشرع هو الذي يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم، ولذا فإن من مقررات علماء السلف قولهم: (لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة أو التابعين مثلاً قوة الدليل الشرعي دون حاجة إلى الاعتماد على دليل آخر لبطل أن يكونوا معرضين للخطأ، ولوجب أن يكونوا معصومين مثل رسول الله ﷺ، وليس هذا لأحد إلا للأنبياء عليهم وعلى خاتمهم الصلاة والسلام، أما ما عداهم فحق عليهم قول رسول الله ﷺ: «**كل بني آدم خطّاء**»[٣]، وإلا فما بالنا لا نقول - مثلاً - بحل شرب الخمر، وقد وُجد فيمن سلف في القرون الخيرية من شربها؟![٤]

---

(١) انظر: د. مصطفى السباعي - المرأة بين الفقه والقانون ص ١٥١، ط السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) هناك فرق بين "قول الصحابي" و"واقعة حال له" فتنبه لهذا.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك، ج٣/ ص١٩٨. ورواه الدارمي في سننه في كتاب (الرقاق)، باب (في التوبة) ج٢/ ص٢١٣ برقم (٢٧٣٠). كما رواه الترمذي في سننه في أبواب (صفة القيامة)، الباب (١٥)، الحديث رقم (٢٦١٦) ج٤/ ص ٧٠. وحسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٤٣٩١) ج٤/ ص١٧١، وتتمة الحديث: "وخير الخطائين التوابون".

(٤) انظر: محمد بن أحمد المقدم - عودة الحجاب، القسم الثالث ص ٤٠٩ - ٤١٠، ط التاسعة ١٤١٥هـ، دار طيبة - الرياض.

رابعاً: الزعم بأنه لم يُمنع الاختلاط إلا في المجتمعات الإسلامية الانفصالية التي سادت في عصور الانحطاط، إنما هو وهم ومحض افتراء يُستغرب صدوره من أي مسلم لديه معرفة - ولو يسيرة - بتاريخ الإسلام وشرعه، فكيف ممن يمثل اتجاهاً إسلامياً محافظاً ويترأسه في بلد عربي مسلم؟.

لقد مُنع الاختلاط في الإسلام منذ نزول آيات الحجاب، ومنعه النبي ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان، وما سقناه فيما سبق من الأدلة الشرعية والأقوال والوقائع كاف لإثبات ذلك. ولم يخل عصر ولا مصر من بلاد الإسلام والمسلمين من منع الاختلاط والتشدد في أمره؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وحرصاً من المخلصين الغيورين في مختلف الأماكن والأزمان على تطبيق شريعة الإسلام. ولن يستطيع أصحاب هذا الزعم الباطل - مهما أجهدوا أنفسهم - أن يقدموا دليلاً صحيحاً يبرهن على صحة مُدَّعاهم.

وأما ربط منع الاختلاط بعصور الانحطاط ففيه ما لا يخفى من الاستهتار بكلام الله ورسوله، والازدراء بما يدعو إليه المصلحون من منع الاختلاط والتحذير منه، والتأثر بمقولات الغرب حول التقدم والتحضر والمدنية.

خامساً: يفهم علماء الأمة ومحققوها قديماً وحديثاً من قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [١] وجوب لزوم المرأة المسلمة بيتها وعدم خروجها منه إلا عند الضرورة وتحريم اختلاطها بالرجال الأجانب عنها.

يقول عبد الرحمن بن الجوزي: "قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن" [٢].

ويقول الحافظ ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة" [٣].

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: "قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ يعني: اسكنّ فيها ولا تتحركن ولا تبرحن منها" [٤].

ويقول أحمد مصطفى المراغي: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ج٦/ ص ٣٧٩، ط الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٣/ ص ٤٨٢.

(٤) أحكام القرآن ج٣/ ص١٥٣٥، بتحقيق: علي البجاوي، ط دار الفكر.

لغير حاجة، وهو أمر لهن ولسائر النساء"[١].

ويقول حسنين محمد مخلوف: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: الزمنها فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة، ومثلهن في ذلك سائر نساء المؤمنين"[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكُنَّ"[٣].

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري: "وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن إلا لحاجة لابد منها"[٤].

ويقول أبو الأعلى المودودي - بعد حديثه عن دائرة عمل المرأة -: "صفوة القول أن خروج المرأة من البيت لم يُحمد في حال من الأحوال، وخير الهدي لها في الإسلام أن تلازم بيتها كما تدل عليه آية (وقرن في بيوتكن) دلالة واضحة"[٥].

وأما اختلاف العلماء في معنى الآية - حيث ذهب بعضهم إلى أنها من الوقار وهو السكون، وذهب البعض الآخر إلى أنها من القرار وهو البقاء - فلا يُبطل صحة الاستدلال بالآية على منع الاختلاط، لأن كلا المعنيين يدلان على ضرورة لزوم المرأة بيتها وعدم خروجها منه إلا لحاجة شرعية، وهو ما ذهب إليه المفسرون.

يقول - على سبيل المثال - الإمام القرطبي - بعد أن ساق القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ وأقوال العلماء واللغويين في بيان معانيها -: "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء؛ كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة؛ على ما تقدم في غير موضع"[٦].

ويقول الشوكاني - بعد أن ساق كذلك القراءات تلك وأقوال العلماء في بيان معانيها -:

---

(١) تفسير المراغي ج٢٢/ ص٦، ط الثانية ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٥٣١، ط الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

(٣) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٦/ ص ٢١٩، ط عام ١٤٠٤هـ - نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج٣/ ص٥٦١، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بدون ذكر الناشر.

(٥) الحجاب ص ٢٣٥، دار الفكر.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج١٤/ ص١٧٩.

"المراد بالآية أمرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن"[١].

ويقول أبو بكر الجصاص: وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ روى هشام عن محمد بن سيرين قال: قيل لسودة بنت زمعة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: والله لقد حججت واعتمرت ثم أمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج، فما خرجت حتى أخرجوا جنازتها. وقيل: إن معنى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ كن أهل وقار وهدوء وسكينة، يقال: وَقَر فلان في منزله يَقِرُ وقُوراً إذا هدأ فيه واطمأن به، وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج"[٢].

ويقول أبو الثناء الألوسي - بعد أن ذكر القراءات المتعددة لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ -: "والمراد على جميع القراءات أمرهن رضي الله تعالى عنهن بملازمة البيوت، وهو أمر مطلوب من سائر النساء"[٣].

وأما الاحتجاج على عدم صحة الاستدلال بالآية على منع الاختلاط بإدعاء الاختلاف في تعيين المخاطب بالآية هل هن نساء النبيﷺ أم عامة النساء، فليس بشيء، وذلك لما يلي:

١ - لأن هذه الآية والتي قبلها تحفهما قرائن قوية تدل على أن الأحكام الشرعية الموجودة فيها ليست خاصة بأمهات المؤمنين، وإنما هي عامة لجميع النساء المسلمات، ذلك أن امتياز أمهات المؤمنين من غيرهن المذكور في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[٤]، إنما هو خاص بما ذُكر قبله لا بما ذُكر بعده، بمعنى أنه خاص بالأحكام المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٥] وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[٦]، دون الأوامر والنواهي المذكورة بعده وهي قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٧]، فتلك الأوامر والنواهي موجهة للنساء عامة بدليل أنه لا يجوز لأحد أن يقول إنه يجوز للنساء المسلمات أن يخضعن

---

(١) فتح القدير ج٤/ ص ٢٧٨.

(٢) أحكام القرآن ج٣/ ص ٤٧١، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) روح المعاني ج٢٢/ ص٦، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.

(٧) سورة الأحزاب، الآيتان ٣٢ - ٣٣.

بالقول ليطمع الذي في قلبه مرض وأن لا يقُلْن قولاً معروفاً وأن لا يقرن في بيوتهن ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ولا يُقمن الصلاة ولا يؤتين الزكاة ولا يطعن الله ورسوله. فهذه الأحكام ليست خاصة بأمهات المؤمنين لأن عللها تجري في غيرهن أيضاً.

٢ - ولأنه إذا كانت أمهات المؤمنين - مع ما كُنَّ عليه من التقى والعفاف وقوة الإيمان والبصيرة بالحق - مأمورات بعدم الخضوع في القول والقرار في البيوت وعدم التبرج، فغيرهن من النساء المسلمات مأمورات بذلك من باب أولى، ولا سيما في هذا العصر الذي قَلَّ فيه الوازع الديني عند كثير من الناس وكثرت فيه المفاسد والفتن.

٣ - "ولأن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا يجوز أن يخص بها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص، فهي عامة لجميع الأمة في عهده ﷺ وبعده إلى يوم القيامة، لأنه سبحانه بعث رسوله ﷺ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، وهكذا القرآن الكريم لم ينزل لأهل عصره النبي ﷺ وإنما أنزل لهم ولمن بعدهم ممن يبلغه كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿ هَـذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [٤] الآية[٥].

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي - في الرد على هذا الاحتجاج -: "قد ذهب بعض الناس إلى أن هذا الأمر خاص لأزواج النبي ﷺ لابتداء الآية بخطاب: يا نساء النبي، ولكنا نسأل: أي وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأمهات المؤمنين دون سائر النساء؟، فقد قيل فيها: ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [٦]، فتأمل كل هذه الوصايا والأوامر، وقل لي: أي أمر منها لا يتصل بعامة النساء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة سبأ الآية: ٢٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٥) سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية ص ٣٣ - ٣٤.
(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

المسلمات؟ ، وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين؟ أو قد أبيح لهن أن يخضعن بالقول ويكلمن الرجال كلاماً يغريهم ويشوقهم؟ أو يجوز لهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية؟ ، ثم هل ينبغي لهن أن يتركن الصلاة والزكاة ويُعرضن عن طاعة الله ورسوله؟ ، وهل يريد الله أن يتركهن في الرجس؟ ، وإذا كانت كل هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات فما المبرر لتخصيص كلمة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وحدها بأزواج النبي ﷺ؟!! .

إن مصدر الفهم الخاطيء في الحقيقة هو مبتدأ الآية: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ، ولكن هذا الأسلوب لا يختلف - مثلاً - عن قولك لولد نجيب: يا بني لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع وتأتي بما لا يليق من الحركات ، فعليك بالأدب واللياقة ، فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يُحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة ولا يُطلب منهم الأدب واللياقة ، بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيار لمحاسن الأخلاق وفضائلها لكي يصبو إليها كل ولد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعد في بلوغه . وقد اختار القرآن الكريم هذه الطريقة لتوجيه النساء ، لأن نساء العرب في الجاهلية كن على مثل الحرية التي توجد في نساء الغرب في هذا الزمان ، وكان العمل جارياً على تعويدهن الحضارة الإسلامية بشيء من التدريج ، وتعليمهن حدود الأخلاق والضوابط الاجتماعية على يد النبي ﷺ. ففي تلك الأحوال عني الإسلام بضبط أمهات المؤمنين بضابطه على وجه خاص حتى يكن أسوة لسائر النساء وتُتبع طريقتهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين .

هذا الرأي نفسه - وهو تعميم نساء المسلمين بالخطاب - أبداه العلامة أبو بكر الجصاص في كتابه (أحكام القرآن) فقال: (وهذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي ﷺ وأزواجه ، فالمعنى عام فيه وفي غيره ، إذ كنا مأمورين باتباعه والاقتداء به إلا ما خصه الله تعالى به دون أمته) "[1] .

ويؤكد الشيخ أبو بكر الجزائري على تعميم نساء المسلمين بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ، ثم يُتابع قائلاً: "غير أن المبطلين لم يروا ذلك ، فقالوا في هذه الآية والتي قبلها: (إنها نزلت في نساء النبي ﷺ وهي خاصة بهن ولا تعلق لها بغيرهن من نساء المؤمنين وبناتهم) ، وهو قول مضحك عجيب . . . وهاتان الآيتان مثلهما مثل إقسام الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه لو أشرك لحبط عمله وكان من الخاسرين في آية الزمر ، مع العلم أن رسول الله ﷺ معصوم لا يتأتى منه الشرك ولا غيره من الذنوب ، ولكن الكلام من باب

(١) الحجاب ، هامش ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(إياك أعني واسمعي يا جارة)، وعليه فإذا كان الرسول على جلالته لو أشرك لحبط عمله وخسر؛ فغيره من باب أولى. كما أن الحجاب لو فرض على نساء النبي وهن أمهات المؤمنين كان على غيرهن من باب أولى، ويبدو أنه لما كان الحجاب مخالفاً لما كان عليه العرب في جاهليتهم ولم يُشرع تدريجاً - إذ لا يمكن فيه التدريج - بدأ الله تعالى فيه بنساء رسول الله ﷺ حتى لا يُقال - وما أكثر من يقول يومئذ، والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين -: (انظروا كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة...)، إلى آخر ما يقول ذوو القلوب المريضة في كل زمان ومكان، فلما فرضه على نساء رسوله ﷺ لم يسبق مجال لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسول ﷺ فترى السفور لها ولا تراه لأزواج الرسول ﷺ وبناته، وهذا يُعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلي ومن باب أولى كتحريم ضرب الأبوين قياساً على تحريم التأفيف في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾.

سادساً: القول بأن تعويل الإسلام في تحقيق أهدافه وقيمه في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد إنما يقوم فقط على التوعية والتربية العقائديتين وإشاعة أجواء الطهر والعفة والتعاون على الخير...؛ قول غير سديد ولا دقيق.

فلا شك أن التوعية الإيمانية والتربية العقدية والتعاون على الخير هي من وسائل الإسلام الأساسية في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد. غير أن شريعة الإسلام لم تَكل الناس إلى ضمائرهم فقط التي قد تهن، ولا إلى نفوسهم التي قد تضعف، ولكنها سَنَّت تدابير وإجراءات وقائية ترد هذه الضمائر إلى الاستقامة إذا نزعت إلى التمرد، وتغلق على النفوس مداخل الشيطان وتوصد مسارب الفساد إذا استشرفت هذه النفوس للفتن ولم ترتدع بوازع الإيمان والتقوى.

ومن تلك التدابير والإجراءات الوقائية - مما يخص موضوعنا هنا -:

منع الاختلاط بين الجنسين، وتحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وتحريم التبرج وإظهار الزينة، والأمر بغض البصر، وتحريم الخضوع بالقول، وتحريم سفر المرأة بغير محرم، وتحريم الدخول إلى بيوت الآخرين بغير إذن...

إن التوعية والتربية العقديتين وإشاعة أجواء الطهر والعفة والتعاون على الخير في العلاقات البشرية لا يكفي في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد، ما لم ينضم إليه سد جميع أبواب الفتن وذرائع الفساد.

فنحن لا نعارض توعية الجنسين وتربيتهما تربية إسلامية عقدية، وإشاعة قيم الطهر

والخلق والفضيلة . . . ، وإنما نعارض استغناء النساء بذلك عن القرار في البيوت والبعد عن الاختلاط بالرجال الأجانب في مجالات العمل والتعليم ونحوهما . فنقصان التربية العقدية والقيم الخلقية من أحد الجنسين كاف في وقوع الفتنة عند اختلاطهما ، فنحن نخاف كلاً منهما على الآخر ولا نرد الشبهات التي تساورنا وإن ردها غيرنا ، وماذا يسعنا أن نقول عنا بعد ما قال الله في قرآنه على لسان امرأة العزيز: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾[١] ، ولله در الشريف الرضي حينما قال:

لا تَعْفُ عَفٌّ حِينَ تَمْلِكُ لُبَّهُ ::: تِلْكَ اللِّحَاظُ ولا الأَمِينُ أَمِين

ومن جرَّاء ذلك لزم أن لا تسنح أي فرصة للجنسين وأن تُسد طرقها ، وفرض الحجاب ومنع الاختلاط معناه: حجبُ طرق الفرصة على النفوس بأخصر وجه[٢] .

واعتبار قرار النساء في البيوت أنه بمثابة تحويل هذه البيوت إلى سجون للنساء والحكم عليهن جميعاً بما حكم به اللاتي أتين الفاحشة ، هذا الاعتبار ينطوي على استخفاف بحكم الله ورسوله ، وفيه تضليل للقارئ ، لأنه وإن كان الأصل هو قرار المرأة في بيتها ، فإن الإسلام يُجيز لها الخروج منه عند الحاجة إلى ذلك مع الالتزام بالحجاب الشرعي واجتناب مخالطة الرجال ، فيجيز لها مثلاً الخروج لزيارة الوالدين ، ولصلة الأرحام ، وللحج مع محرم ، ولطلب علم ، ولمراجعة طبيب ، وللإدلاء بشهادة لدى القاضي ، ولأداء الصلوات في المسجد إذا أُمنت الفتنة ، ولقضاء حاجة مشروعة لا تقضى إلا بوجودها ونحو ذلك .

سابعاً: الجزم بأنه ليس في الإسلام ما يوجب على الزوجة القيام برعايتها لبيتها وزوجها وأطفالها ؛ جزم لا يُسلم لصاحبه ، ففي الإسلام ما يوجب ذلك على الزوجة:

١ - فقد روى الإمام البخاري أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادماً ، فقال لها ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم"[٣] .

٢ - كما روى البخاري أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت تعلف فرس زوجها الزبير وتسقي الماء وتحرز الدلو وتعجن وتنقل النوى على رأسها من

---

(١) سورة يوسف ، الآية: ٥٣ .

(٢) انظر: مصطفى صبري - قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب ص ٦٩ - ٧٠ ، ط الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب (النفقات) ، الباب (٦) ، الحديث رقم (٥٣٦١) ، ج٩/ ص٥٠٦

أرض لـه تبعد عنها ثلثي فرسخ[١] .

ففـي هـذين الحديـثين ما يُفيد بأنه على المرأة أن تقوم بخدمة زوجها وبيتها ، فقد شكت فاطمـة رضـي الله عـنها - في الحـديث الأول - لأبيها النبي ﷺ ما كانت تلقاه من مشقة في خدمـة بيـتها وزوجهـا ، فلم يقل ﷺ لعلي رضي الله عنه: لا خدمة عليها وإنما هي عليك . يقـول الإمـام الطـبري: "يُؤخذ من الحديث أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيـتها في خبـز أو طحـن أو غير ذلك أنه لا يلزم الزوج إحضار خادم لها إذا كان معروفاً أن مثلها يلي ذلك بنفسه ، ووجه الأخذ: أن فاطمة لما سألت أباها ﷺ الخادم لم يأمر زوجها بأن يكفـيها ذلـك إما بإخدامها خادماً أو باستئجار من يقوم بذلك أو بتعاطي ذلك بنفسه ، ولو كانـت كفايـة ذلك إلى علي لأمره به كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول ، مع أن سَوْق الصداق ليس بواجب إذا رضيت المرأة أن تؤخره ، فكيف يأمره بما ليس بواجب عليه ويـترك أن يأمـره بالـواجب؟ . وحكـى ابـن حبيب عن أصبغ وابن الماجشون عن مالك أن خدمـة البـيت تلـزم المرأة ولو كانت الزوجة ذات قدر وشرف إذا كان الزوج معسراً ، قال: ولذلك ألزم النبي ﷺ فاطمة بالخدمة الباطنة[٢] وعلياً بالخدمة الظاهرة" [٣] .

ويقـول ابـن القيم: "هذا أمر لا ريب فيه ، ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة ، وفقيرة وغنـية ، فهـذه أشـرف نـساء العالمين كانت تخدم زوجها ، وجاءته ﷺ تشكو إليه الخدمة فلم يُشْكها[٤]" [٥] .

وفي الحـديث الثانـي لمـا رأى الـنبي ﷺ خدمة أسماء زوجها الزبير لم يقل لـه: لا خدمة علـيها وأن هـذا ظلـمٌ لهـا ، بـل أقـر الـزبير علـى استخدامها ، كما أقر سائر أصحابه على اسـتخدام زوجـاتهم مـع علمه ﷺ بأن منهن الكارهة والراضية[٦] . بل روي عن المطلب بن عـبدالله بـن حـنطب أنـه قـال: "دَخَلَت أيِّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاء عَروساً ، وقامت آخر الليل تطحن - يعني: أم سلمة رضي الله عنها" [٧] .

يقول الشيخ السيد سابق: "وقد جرى عرف المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه

---

(١) المصدر السابق ، كتاب (النكاح) ، الباب (١٠٧) ، الحديث رقم (٥٢٢٤) ، ج٩/ ص٣١٩ - ٣٢٠ .
(٢) المقصود بالخدمة الباطنة: خدمة البيت والقيام بأعماله .
(٣) ابن حجر - فتح الباري ج٩/ ص٥٠٦ - ٥٠٧ .
(٤) أي لم يسمع شكايتها .
(٥) زاد المعاد ج٥/ ص١٨٨ - ١٨٩ .
(٦) انظر: المرجع السابق ج٥/ ص ١٨٨ .
(٧) الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٢/ ص٢٠٥ .

بما ذكرنا - من خدمة المرأة لبيتها وزوجها - ألا ترى أن أزواج النبي ﷺ وأصحابه كانوا يتكلفون الطحين والخبز والطبيخ وفرش الفراش وتقريب الطعام وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت عن ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع، بل كانوا يضربون نساءهم إذا قصرن في ذلك، ويأخذونهن بالخدمة، فلولا أنها مُسْتَحقَّة لما طالبوهن، هذا هو المذهب الصحيح"[١].

٣ - وروي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**»[٢]، "قال العلماء: الراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"[٣]، فالمرأة مسؤولة في بيت زوجها ومؤتمنة وموكلة وربة مملكة، رعيتها الزوج والأولاد والبيت وما حوى.

٤ - وما روي عن حصين بن محصن أنه قال: "حدثتني عمتي قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «**أي هذه! أذاتُ بعلٍ أنت؟**»، قلتُ: نعم، قال: «**كيف أنت لـه؟**» قلت: ما آلوه[٤] إلا ما عجزت عنه، قال: «**فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**»[٥]. يقول الشيخ الألباني رحمه الله معلقاً على الحديث: "الحديث ظاهر الدلالة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها وخدمتها إياه في حدود استطاعتها، ومما لا شك فيه أن من أول ما يدخل في ذلك؛ الخدمةُ في منزله، وما يتعلق به من تربية أولاده ونحو ذلك"[٦].

٥ - وقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾[٧]، قال ابن كثير في تفسير الآية: "﴿ فَالصَّالِحَاتُ ﴾ أي من النساء ﴿ قَانِتَاتٌ ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن"[٨]، وقال ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآية: "فالمرأة الصالحة

---

(١) فقه السنة ج٢/ ص٢٠٣، ط الخامسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (النكاح)، الباب (٩٠)، الحديث رقم (٥٢٠٠)، ج٩/ ص٢٩٩. وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الأمير العادل) ج١٢/ ص٢١٣.

(٣) النووي - شرح صحيح الإمام مسلم ج١٢/ ص٢١٣.

(٤) ما آلوه: أي لا أقصر في طاعته وخدمته.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ج٤/ ص٣٤١، وج٦/ ص٤١٩، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ص٢٩١، والحاكم في المستدرك وصححه ج٢/ ص٢٠٦. ووافقه الألباني في كتاب آداب الزفاف في السنة المطهرة، هامش ص ٢٨٦، ط الثانية عام ١٤٠٩هـ، المكتبة الإسلامية - عمان.

(٦) آداب الزفاف في السنة المطهرة ص ٢٨٦ بتصرف يسير.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٨) تفسير القرآن العظيم ج١/ ص٤٩١.

هي التي تكون قانتة ، أي مداومة على طاعة زوجها"[١] .

٦ - وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير؟ ، فقال: «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»[٢] .

فيستفاد من هذا الحديث ومن الآية الكريمة التي قبله أن من الحقوق الشرعية التي فرضها الله عز وجل للزوج على زوجته طاعته في المعروف ، وهذه الطاعة أمر طبيعي تقتضيه الحياة المشتركة بين الزوجين ، ويُسهم كثيراً في حفظ كيان الأسرة من التصدع والانهيار ، وقيام الزوجة بما تستطيعه من رعايتها لبيتها وعنايتها بشؤون زوجها وأطفالها إنما هو من لوازم الطاعة بالمعروف . هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، حيث قال ما نصه: "قوله: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ يقتضي وجوب طاعتها لزوجها مطلقاً: من خدمة ، وسفر معه ، وتمكين له ، وغير ذلك"[٣] ، وقال في موضع آخر: "يجب على الزوجة خدمة زوجها في مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب والخبز والطحن . . . ، لأن الزوج سيدها في كتاب الله ، وهي عانية عنده بسنة رسول الله ﷺ ، وعلى العاني والعبد الخدمة ، ولأن ذلك هو المعروف . . . ، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية ، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة"[٤] .

ويقول الشيخ الألباني رحمه الله معقباً على كلام شيخ الإسلام: "وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى ، أنه يجب على المرأة خدمة البيت ، وهو قول مالك وأصبغ كما في (الفتح) ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وكذا الجوزجاني من الحنابلة كما في (الاختيارات) ، وطائفة من السلف والخلف كما في (الزاد) ، ولم نجد لمن قال بعدم الوجوب دليلاً صالحاً . وقول بعضهم: (إن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام) ، مردود بأن الاستمتاع حاصل للمرأة أيضاً بزوجها ، فهما متساويان في هذه الناحية ، ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أوجب على الزوج شيئاً آخر لزوجته ألا وهو نفقتها وكسوتها ومسكنها ، فالعدل يقتضي أن يجب عليها مقابل ذلك شيء آخر أيضاً لزوجها ، وما هو إلا خدمتها إياه ، ولا سيما أنه القوّام

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٣٢/ ص ٢٧٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٢/ ص٢٥١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ . والنسائي في سننه في كتاب (النكاح) ، باب (أي النساء خير) ج٦/ ص٦٨ . ورواه الحاكم أيضاً في المستدرك في كتاب (النكاح) ج٢/ ص١٧٥ ، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم" .

(٣) مجموع الفتاوى ج ٣٢/ ص٢٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣٤/ ص٩٠ - ٩١ بتصرف يسير .

عليها بنص القرآن الكريم، وإذا لم تقم هي بالخدمة فسيضطر هو إلى خدمتها في بيتها، وهذا يجعلها هي القوامة عليه، وهو عكس للآية القرآنية كما لا يخفى، فثبت أنه لابد لها من خدمته، وهذا هو المراد"[١].

ويقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ حفظه الله معلقاً على مبدأ طاعة الزوجة لزوجها فيما لا معصية فيه: "وهذا أمر طبيعي، فإن كان الزواج شركة، وكان الرجل هو صاحب القوامة، فلابد من طاعته فيما يأمر وينهى في حدود الشرع، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . . ، إن الزوجة الذكية هي التي لا تتخلى عن طبيعتها الرقيقة الهادئة الطيبة، إنها كما صَوَّرها الحديث الشريف راعية في بيت زوجها تصونه وترعاه: «**إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»[٢].

ثامناً: لقد خلق الله عز وجل الرجل والمرأة وجعل بينهما فروقاً عديدة، منها فروق جسدية تكوينية، وفروق عقلية سلوكية، وفروق نفسية وجدانية، وهذه الفروق تؤكد الاختلاف والتباين بينهما، وأن كلاً منهما مؤهل بخصائص وطاقات تخدم مجاله وميدانه، فالاختلاف في التكوين والخصائص يقابله اختلاف في التكليف والوظائف.

وطبيعة تكوين المرأة الجسدي والعقلي والنفسي يؤهلها لمهمتين أساسيتين ووظيفتين حيويتين في الحياة الإنسانية نصت عليهما النصوص الشرعية، وهما[٣]:

الاختلاط ممنوع:

أختي المسلمة . . يا جوهرة هذا المجتمع:

إن الجواهر كلها تعوض إن سرقت أو ضاعت أو كسرت . . إلا أنت . . فمن ذا الذي يعوضنا المرأة المسلمة . . . الشريفة . . العفيفة . .!!

ثم اعلمي:

أن من يسر الإسلام وسماحته أنه حرم علينا الاختلاط بين الجنسين صيانة للأعراض، وحفظاً للكرامة، وبعداً عن الشبهات . .

فالحجاب بالنسبة لك كالواحة التي تتفيئين بظلالها وتتمتعين بجلالها . . وليس الحجاب

---

(١) آداب الزفاف ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) نظرات في الأسرة المسلمة ص ٧١ - ٧٢، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي - بيروت .

(٣) للاستزادة في معرفة طبيعة هاتين الوظيفتين راجع كتاب (مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة) للدكتورة مكية مرزا ص ٤٩ وما بعدها، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار المجتمع .

سجنا من السجون كما يصور ذلك لك دعاة العلمانية والتغريب . . فاحذري ثم احذري من كيدهم . بل الجوهرة الغالية الثمينة لا تكون إلا مكنونة محفوظة!!

الأدلة:

* قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

* وقال ﷺ : «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ - يعنى أقارب الزوج - فقال: «**الحمو الموت**» (٢) .

* وقال ﷺ : «**لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**» . (٣)

* وقال ﷺ : «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**» (٤) .

وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق، قالت: " كنا نغطي وجوهنا من الرجال" (٥) . ومن هنا نعلم أن:

من صور الاختلاط المحرم ما يلي:

١ - اختلاط البنات مع ابن العم وابن العمة .

٢ - اختلاط البنات مع ابن الخال وابن الخالة .

٣ - الاختلاط مع أخ الزوج بالنسبة للزوجة .

٤ - اختلاط أخوات الزوجة مع زوجها .

٥ - اختلاط أخ المرأة من الرضاع مع أخوات أخته من الرضاع .

---

(١) ٣١) سورة النور .

(٢) [متفق عليه] .

(٣) [رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح] .

(٤) [رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث حسن] .

(٥) [رواه الحاكم ، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

٦ - خلوة خطيب الفتاة بالفتاة وخروجه معها وحديثه وذلك قبل العقد وإنما جاز له النظر إليها بحضور وليها إذا عزم على الزواج فقط .

٧ - صعود العريس مع العروس على النصة أو المنصة (الكوشة) في ليلة الزفاف ، أمام النساء .

٨ - صعود أقارب العريس والعروس على المنصة أمام النساء .

٩ - مباشرة الرجال بالخدمة في الحفلات في بعض الفنادق كما يحدث ذلك في بعض حفلات الزفاف وذلك في قسم النساء .

١٠ - اختلاط النساء بالرجال الأجانب عموما بحجة أن القلوب بيضاء أو " إنما الأعمال بالنيات" .

١١ - خلوة القواعد من النساء بالرجال الأجانب وإنما أجاز الشرع لهن كشف الوجه فقط وإن يستعففن فهو خير لهن .

١٢ - اختلاط المرأة بالرجل الأجنبى بحجة أنه من القبيلة أو العشيرة .

١٣ - التساهل في الاختلاط للفتيات في سن البلوغ بالشباب والرجال الأجانب بحجة أنهن صغيرات .

١٤ - اختلاط الخادمات بالرجال في البيوت .

١٥ - اختلاط السائقين والخدم من الرجال بنساء البيت .

١٦ - خلوة صاحب الليموزين أو سائق التاكسي بالمرأة في السيارة .

١٧ - خلوة السائق بالمرأة في السيارة .

١٨ - حج بعض النساء وسفرهن من غير محرم .

١٩ - اختلاط الخادمات والخدم بالمسافرين على متن الطائرات أو البواخر .

٢٠ - اختلاط الطالبات بالطلاب في صفوف الدراسة في الجامعات أو المدارس .

٢١ - قيام النساء بتدريس الرجال في الجامعات أو الكليات والمدارس وكذلك قيام الرجال بتدريس النساء مباشرة .

٢٢ - اختلاط الطلاب المبتعثين بالعائلات الغربية والسكن معهم في منزل واحد .

٢٣ - الدعوة إلى تدريس المرأة للأولاد في الصفوف الدراسية الأولى هي دعوة خبيثة للتدرج في الاختلاط .

٢٤ - الدعوة إلى ابتعاث النساء إلى الخارج بحجة التحضير للدراسات العليا، وما يؤدي إليه من التطبع بالأفكار الغربية الهدامة.

٢٥ - اختلاط الطلاب بالطالبات في الصفوف الدراسية العليا بحجة الدراسة الميدانية.

٢٦ - خلوة الرجال المشرفين على الرسائل الجامعية بالطالبات بحجة الإشراف على الرسالة.

٢٧ - خلوة المدرسين الخصوصيين بالطالبات بحجة التدريس.

٢٨ - الدعوة إلى حضور الأمسيات الشعرية واللقاءات العلمية والمحاضرات المختلفة والتي تلقيها بعض النساء أو الرجال ويحضرها النساء والرجال جنبا إلى جنب.

٢٩ - اختلاط الممرضات والطبيبات بالرجال الأجانب حتى ولو كانوا من الممرضين أو الأطباء.

٣٠ - خلوة الطبيب بالممرضة أو الطبيبة.

٣١ - خلوة الطبيب بالمريضة من غير محرم لها

٣٢ - كشف المرأة على الطبيب لغير حاجة أو ضرورة أو مع وجود الطبيبة لانتفاء الضرورة.

٣٣ - اختلاط النساء بالرجال في حفلات التوديع والاستقبال وبعض المناسبات.

٣٤ - اختلاط النساء بالرجال في المختبرات الطبية والصيدليات بدعوى ضرورة ذلك في العمل.

٣٥ - اختلاط النساء مع الرجال في الألعاب والملاهي بحجة يوم العائلات.

٣٦ - اختلاط النساء مع الرجال في المطاعم والكافتريات بحجة قسم العائلات.

٣٧ - اختلاط النساء بالرجال أو خلوة المرأة بصاحب المعرض أو الدكان.

٣٨ - اختلاط النساء بالرجال في مراكز التسويق (السوبر ماركت).

٣٩ - سفر المرأة بالسيارة أو الطيارة أو الحافلات أو غير ذلك من غير محرم لها.

٤٠ - اختلاط النساء بالرجال في الملاعب والأندية وفي المدرجات.

٤١ - الألعاب والرياضات النسائية وتكوين الفرق الرياضية للسيدات مما يؤدي إلى الاختلاط وكشف العورات.

٤٢ - اختلاط النساء بالرجال في المتنزهات العامة وعلى الشواطئ.

٤٣ - اختلاط الرجال بالنساء وكذلك النساء بالرجال وذلك أثناء سفر المسلمين والمسلمات إلى الخارج للسياحة، وكذلك حضور دور السينما والسيرك والمسارح وغيرها من أماكن اللهو.

٤٤ - تصوير النساء من قبل المصورين.

٤٥ - اختلاط النساء بالرجال في المناسبات والاحتفالات البدعية، مثل: مولد النبي ﷺ والنصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج وغيرها كما يحصل في بعض البلاد باسم الدين والعياذ بالله.

٤٦ - اختلاط النساء من مقدمات البرامج بالرجال.

٤٧ - اختلاط الممثلات بالممثلين في الأفلام والمسلسلات.

٤٨ - التحاق النساء بالسلك العسكري الميداني.

٤٩ - الاجتماعات المختلطة بين الرجال والنساء في أي دائرة أو عمل بحجة تدارس الموضوعات.

٥٠ - مطالبة المرأة الاشتراك في أعمال تخص الرجال كسياقة الطائرات والقطارات والبواخر والسيارات.

٥١ - العمل في وظيفة (السكرتيرة) لما فيه من وضوح التبرج والخلوة المحرمة.

٥٢ - أي عمل للمرأة يؤدي إلى اختلاطها بالرجال مثل عملها في المصانع وغيرها بحجة زيادة الانتاج والمساهمة في تنمية المجتمعات.

٥٣ - اختلاط المسلمين بالنساء الأجنبيات (غير المسلمات) بحجة أنهن كافرات أو الخلوة بهن.

. . . . وغير ذلك من الصور المحرمة من صور الاختلاط.

وكلمة اختلاط لفظ مستحدث في عصرنا، فهذه الكلمة لم تستعمل في أي موضع من القرآن الكريم سواء بلفظها أو مدلولها، ولم ترد في أي حديث نبوي ولا في أي كتاب من كتب الفقه والتشريع، ولكن بدأ الكلام يكثر عن الاختلاط بعد أن رأى رجال الإصلاح من المسلمين ما هي عليه المرأة الأوروبية من زينة وتجمل " وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في الاجتماع الغربي، ولما رَأَوْا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً، حتى يجاري تمدنهم تمدن الغرب، ثم أثرت فيهم النظريات الجديدة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة الصنفين ".

إن المطالبين بحرية المرأة واختلاطها بالرجل هم فريقين، " فريق يعلم جيداً أن الطريق الذي تسير فيه القضية سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا، وهو يريد ذلك ويسعى إليه جاهداً لأنه من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وفريق آخر مخدوع مستغفَل لأنه مستعبَد للغرب لا يرى إلا ما يراه الغرب . . . وهذا وذاك مسخران معاً لخدمة الصليبية في المجتمع الإسلامي، وخدمة اليهودية العالمية كذلك ".

إن مخطط الغرب في تدمير الإسلام ليس مخططاً حديثاً، فقد شرح " شكيب أرسلان" في مقالة نشرتها المنار ١٩٢٥ م. هدف دعاة الحرية والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل بقوله: "عند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م قال أحمد رضا بك من زعماء أحرار الترك: ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر " غلطة " وهي سافرة الوجه فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية ".

لقد عمل هؤلاء منذ تلك الفترة على تنفيذ مخططاتهم التدميرية فنجحوا، بعد أن أبعدوا المسلم عن دينه وعقيدته، في بث الشكوك والتساؤلات حول القضايا الاجتماعية مستعينين بالنصوص الإسلامية من ناحية وبالجدل من ناحية أخرى.

أما النصوص الإسلامية فقد اعتبروها حجة على المعارضين للاختلاط بحجة أن الإسلام أباح للمرأة الخروج للصلاة في المسجد كما سمح لها بالجهاد مع الرجال ومداواة الجرحى، إن الرد على هذا الأمر بسيط، ذلك أن مفهوم الاختلاط المباح في الإسلام هو ذلك الاختلاط " المأمون، وهو الذي يكون لأسباب طبيعية. وتتحقق خلاله مصالح اجتماعية أو اقتصادية، وقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها في طلب هذه المصالح في ظل الآداب والأخلاق، وليس هو الاختلاط العابث الماجن المستهتر الذي من شأنه مضيعة الوقت والعبث بالفضيلة والانطلاق العابث بغير حدود وقيود "، فإن مثل هذا النوع من الاختلاط لا يقره أي دين مهما بلغت درجة تقدمه وانفتاحه.

أما أسلوب الجدل فاستخدموه لإثبات نظرياتهم النفسية الجنسية الحديثة التي لا ترضى عنها الشرائع ولا الأخلاق، فيقولون: " إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة تهذبت طباع كل منهما وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء! أما إذا ضُرب بينهما بسور من الاحتجاب فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كُلاً منهما بصاحبه! فتُشيع في ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع.

و(الجواب على هذا القول): إنه صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها

وجنوا من ثمارها خلال فترة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها، وبديهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا بها بل لأنهم يشبعون كل يوم منها.

من هنا نؤكد على أهمية اجتناب الاختلاط بغير سبب خاصة في الحفلات العامة والحفلات الخاصة، والابتعاد عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات خاصة أن كثيراً من حفلات الاختلاط تشوبها الخلوات، والإسلام لا يجيز أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها، وفي ذلك جاء الحديث الشريف: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**».

* * * * *

الفصل الثاني: وقفة مع الإنترنت

بعد أن تحدثنا وتحاورنا حول خطورة الفضائيات وموقف المسلم والمسلمة تجاهها، نتحدث الآن عن حدث جديد وتقنية مدهشة انتشرت في العالم ومازالت تتطور بشكل سريع مع الأيام حتى دخلت بلاد المسلمين بشكل مكثف بكل ما فيها من خير وشر وهي شبكة الإنترنت العالمية أو ما تسمى بالشبكة العنكبوتية العالمية التي لا تحتاج إلى الدخول فيها سوى حاسب آلي فيه ما يسمى (بالمودم) وبرامج خاصة وخط هاتف واشتراك بالشركة المزودة بالخدمة.

أختي المسلمة: ما هو موقفك من هذه الشبكة التي تنامت شهرتها؟

قبل أن تحددي موقفك لا بد لك أن تأخذي فكرة عنها من حيث نفعها وضررها.

هل في هذه الشبكة نفع وخير؟ الجواب: نعم فيها نفع وخير كثير لمن أحسن استخدامها، فهي شبكة معلوماتية ضخمة يتم الاتصال من خلالها، وتبادل المعلومات بين كثير من الجهات والأشخاص ويشمل الاتصال؛ كتابة وسماع أصوات، ورؤية صور ثابتة ومتحركة، كما يمكنك عبرها أن ترسلي بالبريد الإلكتروني لأي شخص أو مكان في العالم وتصل الرسالة في ثوان معدودة بتكلفة رخيصة جداً تغنيك عن البريد العادي، ويمكن كذلك كما هو حاصل الآن الدعوة إلى الله عبر هذه الشبكة ونشر العقيدة الصحيحة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح وتبليغها إلى أماكن يصعب الوصول إليها ومناقشة الكفار من النصارى وغيرهم ودحض شبهاتهم وغير ذلك مما هو مفيد في الدعوة إلى الله تعالى، وقد وردت بعض الإحصاءات عن بعض المراكز الإسلامية تبين أن مجموعة كبيرة من الناس أسلموا عن طريق الشبكة. وهناك فوائد أخرى كالبحوث العلمية التطبيقية

والنظرية يمكن التوصل لها دون حاجة للسفر والترحال وكذلك مواقع الأخبار والصحف والتجارة الإلكترونية ويمكن كذلك عقد المؤتمرات بالصوت والصورة مع عدة أشخاص في مختلف أرجاء العالم في الوقت نفسه وغيرها من الفوائد الأخرى .

وهنا يأتي سؤال آخر في غاية الأهمية ، ماهو الجانب السلبي لتلك الشبكة العالمية؟

والجواب: إن الجانب المظلم السفلي لهذه الشبكة المترامية الأطراف يتمثل في كثير من المساوئ والأضرار ، فعلى هذه الشبكة تظهر المواقع التي تنشر الرذيلة وتهدم الفضيلة كالمواقع الجنسية الإباحية والتي تقدر بمليوني موقع ، إضافة إلى مواقع المخدرات والقمار والسرقة والكذب والمراسلات المحرمة بين الشباب والفتيات ومواقع العنف والعنصرية وغيرها من المساوئ والمفاسد الكثيرة وهي في تطور وازدياد مستمر ففي كل يوم ينطلق في مسار الشبكة ما لايقل عن مئة موقع إباحي جديد نسأل الله العافية والسلامة .

والآن أختي المسلمة لعلك أخذت نبذة يسيرة عما يعرض في هذه الشبكة وعرفت شيئاً عن منافعها ومضارها بقي أن تعرفي عن ظاهرة غريبة انتشرت وصار لها رواج في مجتمعاتنا الإسلامية ألا وهي مقاهي الإنترنت التي يرتادها أكثر المراهقين تضييعاً للأوقات وبحثاً عن الشهوات والملذات المحرمة وياللأسف الشديد فقد جاءت آخر الإحصاءات بأن ٩٥٪ من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي يستخدمونه من أجل الترفيه والتسلية فقط وليس بحثاً عن الفائدة والمعلومات ، وهذا يدلنا على المستوى الثقافي المتدني في التعامل مع شبكة الإنترنت .

والأغرب من ذلك أن تخصص هذه المقاهي قسماً لدخول النساء تشجيعاً منها لفتياتنا على الانجراف وتضييع الأوقات والبحث عن المنكرات ومن المعلوم أن المرأة المسلمة الحريصة على وقتها عندها من المسؤوليات والأعمال ما لا يبقي لها وقتاً فارغاً ، وأي فراغ يبقى لمن تُحسبُ أنفاسها وتكتب أعمالها والتراب بعد الموت وسادها ويوم العرض يكشف حسابها .

أختي المسلمة . . . الحذر كل الحذر من هذه المقاهي العائلية التي تشجع الفتاة على الخروج من بيتها دون حاجة أو ضرورة فوالله ما استفادت امرأة من كثرة خروجها إلا الآثام والأوزار ، وليس هناك خير من كلام الله العظيم الحكيم القائل لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام وهن العفيفات الأطهار ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ**

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [١] .

ذكرى أخيرة:

تذكري دوماً يا أختاه أنه:

* الأضرار في استخدام الإنترنت أكبر من المنافع .

* درهم وقاية خير من قنطار علاج .

* سد الذرائع مقدم على جلب المصالح .

* أن الله تعالى يراقبنا ويحاسبنا على كل صغيرة وكبيرة ، فطوبى لمن خاف الله وعمل لليوم الآخر . وخسراً لمن أطلق لنفسه العنان وصار عبداً للشيطان أسأل الله العظيم بمنه وكرمه وإحسانه أن يحفظنا من الشرور والاثام وأن يجنبنا الفواحش ويعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يصرف عنا كيد الإنترنت ومخاطرها ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقفة أخيرة لمستخدمات شبكة الإنترنت

(قصة مؤثرة)

هذه قصة واقعية مأساوية كتبتها صاحبتها إلى صديقتها وطلبت منها أن تنشرها عبر الإنترنت لتكون عظة وعبرة لكل فتاة تستخدم الإنترنت ، وقد نقلناها لكم من أحد المنتديات ؛ سائلين الله عز وجل أن ينفع بها ويجعلها عظة وعبرة حقاً كما أرادت وتمنت صاحبتها ، فإلى هذه القصة:

"بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صديقتي العزيزة بعد التحية والسلام لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتي ، أنت الوحيدة في هذا العالم التي أبوح لها بما فعلت كل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن يأخذني الموت قبل أن أقتل نفسي ، لا أدري ما سأفعله بنفسي حيث يغمرني اليأس وكل ما بين عيني ظلام في ظلام ، سوف تقرئين في السطور التالية مأساتي التي ربما تكرهينني بسببها وللث كل العذر في ذلك ، ولكن أرجو منك أن تنشري قصتي في صفحة من صفحات الإنترنت لكي تكون عبرة لمن تستخدم الإنترنت وخصوصاً "التشات " .

ما من يوم يمر علي إلا وأبكي فيه حتى أعدم الرؤية ، كل يوم أفكر بالانتحار عشرات

---

(١) الأحزاب: ٣٣ .

المرات ، لم تعد حياتي تهمني أبداً ، أتمنى الموت كل ساعة ، ليتني لم أولد ولم أعرف هذه الدنيا ، ليتني لم أخلق ، ماذا أفعل أنا في حيرة وكل شيء عندي أصبح بلا طعم ولا لون ، لقد فقدت أعز ما أملك ، بيدي هذه أحرقت نفسي وأسرتي ، أحرقت بيتي وزوجي وأبنائي ، ولن يقدر أحد على إرجاع ما أضعت لن يستطيع أحد مساعدتي أبداً ، لقد وقع الأمر وأصبح وصمة عار في تاريخي ، إنني أضع قصتي هذه بين يديك لكي تنشريها حتى تكون علامة ووقاية لكل بنت تستخدم الإنترنت ولكي تعتبروا يا أولي الأبصار" .

بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي القليلات ، دعتني ذات يوم إلى بيتها وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً وقد أثارت في الرغبة لمعرفة هذا العالم لقد علمتني كيف يستخدم وكيف أتصفح وأبحث عن المواقع الجيدة والرديئة وبعدها طلبت من زوجي أن يدخل الإنترنت في البيت ، وكان ضد تلك المسألة ويرفضها رفضاً تاماً ولكنني استطعت إقناعه خاصة وأنا أشعر بالملل الشديد والوحدة وأنا بعيدة عن أهلي وصديقاتي ، وتحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت فلم لا أستخدم أنا هذه الخدمة وأحادث صديقاتي عبره فهو أرخص من فاتورة الهاتف على أقل تقدير ، فوافق زوجي رحمة بي وفعلاً أصبحت أحادث زميلاتي بشكل يومي ، وبعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطالب فقد انشغلت به كثيراً ، وكان كلما خرج من البيت أقبلت كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد حتى أني أقضي الساعات الطوال دون أن أشعر .

وبدأت أتمنى غياب زوجي كثيراً وأنا التي أشتاق إليه بعد خروجه بقليل ، أنا أحب زوجي بكل ما تعني هذه الكلمة وهو لم يقصر معي حتى وحالته المادية ليست بالجيدة ، كان بدون مبالغة يريد إسعادي بأي طريقة ، ومع مرور الأيام تعلقت بالإنترنت وأصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي وقد كنا نسافر إليهم كل أسبوعين ، كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ جهاز الكمبيوتر بشكل جعله يستغرب فعلي ، لم يكن عنده شك بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل في الإنترنت ، ربما كان لديه فضول وكان يعاتبني ويقولي لي الإنترنت مجال واسع للمعرفة ويحثني على تعلم اللغات وكيفية عمل مواقع يكون فيها نفع للناس وليس مضيعة للوقت ، أحسسته بعدها بأني جادة وأريد التعلم والاستفادة وأني لا أذهب (للتشات) إلا لمكالمة أخواتي وصديقاتي .

لقد تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة وكنت أعرف متى يعود زوجي فلا

أدخل في الإنترنت، ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً كنت في السابق في أحسن شكل وأحسن لبس عند عودته من العمل، وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى قليلاً حتى اختفى كلياً، وكنت أختلق الأعذار بأنه لم يخبرني بعودته أو أنه عاد مبكراً على غير العادة، ربما أدرك زوجي لاحقاً أن كل ما أفعله في الإنترنت مضيعة للوقت ولكنه كان يشفق علي من الوحدة وبعد الأهل وقد استغللت هذا أحسن استغلال وكان كلما وبخني على عدم اهتمامي بأبنائنا ألجأ إلى البكاء والدموع وأستخدم كيد النساء كما يقولون، هكذا كانت حياتنا لمدة ستة أشهر تقريباً لم يكن يخطر ببال زوجي إني أسيء استخدام هذه الخدمة أبداً.

خلال تلك الأيام بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم امرأة، كنت أحاور كل من يحاورني حتى وأنا أعرف أنه رجل، كنت أطلب المساعدة من بعض الذين يدعون المعرفة في الكمبيوتر والإنترنت، تعلمت منهم الكثير إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير لما له من خبرة واسعة في هذا المجال، كنت أخاطبه دائماً وألجأ إليه ببراءة كبيرة في كثير من الأمور حتى أصبحت بشكل يومي، أحببت حديثه ونكته فقد كان مسلياً، وبدأت العلاقة تقوى مع الأيام خلال ثلاثة أشهر تقريباً، كان بيني وبينه الشيء الكثير أغراني بكلامه المعسول وكلمات الحب والشوق التي ربما لم تكن جميلة بهذه الدرجة ولكن الشيطان جملها بعيني كثيراً.

في يوم من الأيام طلب سماع صوتي وأصر على طلبه حتى أنه هددني بتركي وأن يتجاهلني في (التشات) حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع، لا أدري لماذا، حتى قبلت مع بعض الشروط أن تكون مكالمة واحدة فقط فقبل ذلك، استخدمنا برنامج للمحادثة الصوتية، ورغم أن البرنامج ليس بالجيد ولكن كان صوته جميلاً جداً وكلامه عذب جداً، طلب مني رقمي وأعطاني رقم هاتفه إلا أنني كنت مترددة في هذا الشيء ولم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة، إني أعلم أن الشيطان الرجيم كان يلازمني ويحسنها في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين وما أملك من أخلاق، حتى أتى اليوم الذي كلمته من الهاتف ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف، لقد انجرفت كثيراً، أنا وهو كنا كالعمالقة في عالم (التشات)، الكل كان يحاول التقرب منا والويل لمن يحاربنا أو يشتمنا. ومن يقرأ كلماتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي أو كثير الغياب عن البيت، ولكن العكس من ذلك هو ما يحدث كان زوجي يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلي، ومع مرور

الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنت أقضي بها ما يقارب (٨) إلى (١٢) ساعة يومياً، أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت، ألومه على هذا كثيراً، وفعلاً أخذ بكلامي ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير، ثم بعد ذلك أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر ورغم انزعاجه كثيراً من فاتورة الهاتف والتي تصل إلى آلاف الريالات إلا أنه يقدر على ثنيي عن هذا أبداً.

علاقتي بذلك الرجل بدأت بالتطور وأصبح يطلب رؤيتي بعد أن سمع صوتي والذي ربما ملّه، لم أكن أبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالي به، بل كنت فقط أعاتبه على طلبه وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته، ولكني كنت أترفع عن ذلك لا لشيء سوى أنني خائفة من الفضيحة، وليس من الله، أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم ويريد فقط رؤيتي لا أكثر، فقبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر طلب كهذا يأتي منه، وأن يراني فقط دون أي كلام، أعتقد أنه لم يصدق بأني تجاوبت معه بعد أن كان شبه يائس من تجاوبي، فأوضح لي بأن السعادة تغمره وهو إنسان يخشى أن يصيبني أي مكروه وسوف يكون كالحصن المنيع ولن أجد منه ما أكره ووافق على شروطي وأقسم بأن تكون نظرة فقط لا أكثر... نعم تجاوبت معه تواعدنا والشيطان ثالثنا في أحد الأماكن لقد رآني ورأيته وليتني لم أره ولم يراني لقد أعجبت به وأعجب بي في لحظة قصيرة لا تتعدى دقيقة واحدة، لم يكن زوجي قبيحاً ولا بالقصير أو السمين لكن الشيطان جعلني أشعر في تلك اللحظة بأني لم أر في حياتي أوسم منه. ومن جهته لم يصدق أنه كان يتحادث مع من هي في شكلي قال لي بأني أسرته بجمالي وأحبني بجنون، كان يقول لي سوف يقتل نفسه إن فقدني بعدها، كان يقول ليته لم يرني أبداً، لقد زادني أنوثة وأصبحت أرى نفسي أجمل بكثير من قبل حتى قبل زواجي.

هذه بداية النهاية يا أخواتي لم يكن يعرف أني متزوجة وأن لي أبناء، لقد عرف كيف يستغل ضعفي كأنثى وكان الشيطان يساعده بل ربما يقوده، أراد رؤيتي بعدها مرة أخرى وكنت أتحجج كثيراً وأذكره بالعهد الذي قطعه حتى أني أخبرته بزواجي وأني لا أقدر على رؤيته ويجب أن تبقى علاقتنا في الإنترنت فقط، لم يصدق ذلك وقال لي: لا يمكن أن أكون متزوجة ولي أبناء!! قال لي: أنت كالحورية التي يجب أن تصان، أنت كالملاك الذي لا يجب أن يوطأ وهكذا أصبحت مدمنة على سماع صوته وإطرائه حتى جعلني أكره زوجي الذي لم ير الراحة أبداً في سبيل تلبية مطالبنا وسعادنا بدأت أصاب بالصداع إذا غاب عني ليوم أو يومين،

أصاب بالغيرة إذا تخاطب أو خاطبه أحد في (التشات) ، لا أعلم ما الذي أصابني إلا أنني أصبحت أريده أكثر فأكثر . لقد شعر بذلك وعرف كيف يستغلني حتى يتمكن من رؤيتي مجدداً ، كان كل يوم يمر يطلب فيه رؤيتي ، وأنا أتحجج بأني متزوجة . وهو يقول: ما الذي يمكن أن نفعله ، أنبقى هكذا حتى نموت من الحزن . . أيعقل أن نحب بعضنا ولا نستطيع الاقتراب: لا بد من حل يجب أن نجتمع ، يجب أن نكون تحت سقف واحد ، لم يترك طريقة إلا وطرقها وأنا أرفض وأرفض حتى جاء اليوم الذي عرض فيه علي الزواج وأن أتطلق من زوجي حتى يتزوجني هو وإذا لم أقبل فإما أن يموت أو أن يصاب بالجنون أو يقتل زوجي ، الحقيقة رغم خوفي الشديد إلا أني وجدت في نفسي شيئاً يشدني إليه . وكأن الفكرة أعجبتني كان كلما خاطبني ترتعش أطرافي وتسطك أسناني كأن البرد كله داخلي ، احترت في أمري كثيراً أصبحت أرى نفسي أسيرة لدى زوجي وأن حبي له لم يكن حباً ، بدأت أكره منظره وشكله لقد نسيت نفسي وأبنائي ، كرهت زواجي وعيشتي كأني فقط أنا الوحيدة في هذا الكون التي عاشت وعرفت معنى الحب ، عندما علم وتأكد بمقدار حبي له وتمكنه مني ومن مشاعري عرض علي بأن اختلق مشكلة مع زوجي وأجعلها تكبر حتى يطلقني لم يخطر ببالي هذا الشيء وكأنها بدت لي هي المخرج الوحيد لأزمتي الوهمية ، وعدني بأنه سوف يتزوجني بعد طلاقي من زوجي وأنه سوف يكون كل شيء في حياتي وسوف يجعلني سعيدة طوال عمري معه ، لم يكن وقعها علي سهلاً ولكن راقت لي هذه الفكرة كثيراً وبدأت فعلاً أصطنع المشاكل مع زوجي كل يوم حتى أجعله يكرهني ويطلقني ، لم يحتمل زوجي كل تلك المشاكل التافهة والتي أجعل منها أعظم مشكلة على سطح الأرض ، وبدأ فعلاً بالغياب عن البيت لأوقات أطول حتى صار البيت فقط للنوم ، بقينا على هذه الحالة عدة أسابيع ، وأنا منهمكة في اختلاق المشاكل حتى أني أخطط لها مسبقاً ، وبدأ هو يمل من طول المدة كما يدعي ويصر على رؤيتي لأن زوجي ربما لن يطلقني بهذه السرعة حتى طلب أن يراني وإلا؟؟؟ ووقتها قبلت دون تردد كأن إبليس اللعين هو من يحكي عني ويتخذ القرارات بدلاً مني ، وطلبت منه مهلة أتدبر فيها أمري - قال زوجي: إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام ، أحسست أن هذا هو الوقت المناسب ، أراد زوجي أن يرسلني إلى أهلي كي أرتاح نفسياً وربما أخفف عنه هذه المشاكل المصطنعة ، فرفضت وتحججت بكل حجة حتى أبقى في البيت ، فوافق مضطراً وذهب مسافراً في يوم الجمعة كنت أصحو من

النوم فأذهب إلى التشات وأغلقه فأذهب إلى النوم وفي يوم الأحد كان الموعد حيث قبلت مطالب صديق (التشات) وقلت له بأني مستعدة للخروج معه كنت على علم بما أقوم به من مخاطرة ولكن تجاوز الأمر بي حتى لم أعد أشعر بالرهبة والخوف كما كنت في أول مرة رأيته فيها . . .

وخرجت معه ، نعم لقد بعت نفسي وخرجت معه اجتاحتني رغبة في التعرف عليه أكثر وعن قرب ، اتفقنا وجاء في نفس الموعد وركبت سيارته ثم انطلق يجوب الشوارع لم أشعر بشيء رغم قلقي فهي أول مرة في حياتي أخرج مع رجل لا يمت لي بأي صلة سوى معرفة سبعة أشهر تقريباً . . . كان يبدو عليه القلق أكثر مني ، وبدأت الحديث قائلة له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت ، أخشى أن يتصل زوجي أو يحدث شيء قال لي بتردد: وإذا يعني عرف ربما يطلقك وترتاحين منه ، لم يعجبني حديثه ونبرة صوته بدأ القلق يزداد عندي ، ثم قلت له: يجب أن لا تبتعد كثيراً ، لا أريد أن أتأخر عن البيت . قال لي: سوف تتأخرين بعض الوقت لأني لن أتنازل عنك بهذه السهولة أريد أن أملي عيني منك ربما لن يكون هناك مجال عندك لرؤيتي بعدها ، هكذا بدأ الحديث ثم اتخذ اتجاهاً رومانسياً لا أعلم كم من الوقت بقينا على هذا الحال حتى أني لم أشعر بالطريق الذي كان يسلكه ، وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه . . . مظلم أشبه باستراحة أو مزرعة ، بدأت أصرخ عليه ما هذا المكان إلى أين تأخذني . . .

وإذا هي ثوان معدودة والسيارة تقف ورجل آخر يفتح في الباب ويخرجني بالقوة ، كان كل شيء علي كالصاعقة صرخت وبكيت واستجديت بهم ، أصبحت لا أفهم ما يقولون ولا أعي ماذا يدور حولي شعرت بضربة كف على وجهي وصوت يصرخ علي وقد زلزلني زلزالا فقدت الوعي بعده من شدة الخوف ، إني لا أعلم ماذا فعلوا بي؟ أو من هم؟ وكم عددهم؟ رأيت اثنين فقط ، كل شيء كان كالبرق من سرعته لم أشعر بنفسي إلا وأنا مستلقية في غرفة شبه عارية ، ثيابي تمزقت ، بدأت أصرخ وأبكي وكان كل جسمي متسخ ، لم تمر سوى ثوان وإذا بالذئب يدخل علي وهو يضحك ، قلت له: بالله عليكم خلو سبيلي ، خلو سبيلي ، أريد أن أذهب إلى البيت ، قال: سوف تذهبين إلى البيت ولكن يجب أن تتعهدي بألا تخبري أحداً وإلا سوف تكونين فضيحة أهلك وإذا أخبرت عني أو قدمت شكوى سيكون الانتقام من أبنائك ، قلت له: فقط أريد أن أذهب ولن أخبر أحداً ، تملكني رعب شديد كنت أرى جسمي يرتعش ولم أتوقف عن البكاء ،

هذا الذي أذكر من الحادثة ، ولا أعلم أي شيء آخر سوى أنه استغرق خروجي إلى حين عودتي ما يقارب الأربع ساعات ، ربطوا عيني وحملوني إلى السيارة ورموني في مكان قريب من البيت ، لم يرني أحد وأنا في تلك الحالة ، دخلت البيت مسرعة وبقيت أبكي وأبكي حتى جفت دموعي ، تبين لي بعدها بأنهم اغتصبوني وكنت أنزف دماً لم أصدق ما حدث لي ، أصبحت حبيسة لغرفتي لم أر أبنائي ولم أدخل في فمي أي لقمة ، يا ويلي من نفسي لقد ذهبت إلى الجحيم برجلي ، كيف سيكون حالي بعد هذه الحادثة ، كرهت نفسي وحاولت الانتحار ، خشيت من الفضيحة ومن ردة فعل زوجي . . .

لا تسأليني عن أبنائي فبعد هذه الحادثة لم أعد أعرفهم أو أشعر بوجودهم ولا بكل من حولي ، حتى بعد أن رجع زوجي من السفر شعر بالتغير الكبير والذي لم يعهده من قبل وكانت حالتي سيئة لدرجة أنه أخذني إلى المستشفى بقوة ، والحمد لله أنهم لم يكشفوا علي كشفاً كاملاً بل وجدوني في حالة من الجفاف وسوء التغذية وتوقفوا عند ذلك ، طلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي بأسرع وقت ، كنت أبكي كثيراً وأهلي لا يعلمون شيئاً ويعتقدون أن هناك مشكلة بيني وبين زوجي ، أعتقد أن أبي تخاطب معه ولم يصل إلى نتيجة حيث أن زوجي هو نفسه لا يعلم شيئاً ، لا أحد يعلم ما الذي حل بي حتى إن أهلي عرضوني على بعض القراء اعتقاداً منهم بأني مريضة ، أنا لا أستحق زوجي أبداً فقد طلبت منه هذه المرة الطلاق وقد كنت في السابق أطلب الطلاق لنفسي وهذه المرة أطلبه إكراماً لزوجي وأبي وأبنائي ، أنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً ، وكل ما جرى لي هو بسببي أنا!!

أنا التي حفرت قبري بيدي وصديق (التشات) لم يكون سوى صائد لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن التشات ، كل من سيعرف قصتي سوف ينعتني بالغبية والساذجة ، وفي المقابل أتمنى بأن لا يحدث لأحد ماحدث لي ، أتمنى أن يسامحني زوجي فهو لا يستحق كل هذا العار ، وأبنائي أرجو أن تسامحوني ، أنا السبب . . أنا السبب والله أسأل أن يغفر لي ذنبي ويعفو عن خطيئتي .

الآن . . وبعد أن قرأت قصة صديقتي (والكلام لناشرة القصة) أما آن للبنات ومن يستخدم (التشات) والشباب الذي يلهث وراء الشهوات أن يخافوا الله في أنفسهم وأهليهم ، هي ليست غلطة الإنترنت بل نحن الذين لم نحسن استخدامه نحن الذين نترك الخير والفائدة

العظيمة ونبحث عن الشر وما هو منافي لأخلاق المسلم، إن الشر كل الشر في الفراغ الذي لم نحسن استغلاله فعاد علينا بالوبال ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل . .

بقي أن أقول . . . لقد توفيت صديقتي (صاحبة القصة) قبل أسابيع، ماتت ومات سرها معها، زوجها لم يطلقها وقد علمت أنه حزن عليها حزناً شديداً، وعلمت أنه ترك عمله ورجع لكي يبقى بجانب أبنائه شعرت بعدها أن هذه الحياة ليست ذات أهمية ليس بها طعم أبداً إلا من استثمرها في طاعة الله ورسولهﷺ .

الشات.. وخطوات الشيطان:

عندما ظهر اسمه فجأة على شاشة الحاسوب . . وقرأت أول عبارة كتبها: "أختاه أود أن أتعرف عليكِ" خفق قلبي بقوة، شعرت بأنني اجتاز مرحلة من حياتي إلى مرحلة جديدة، أحسست أن ثمة شيء ينتفض داخلي، شيء مبهم . . شيء غامض، ترى هل هو حب المغامرة، الرغبة في خوض تجربة، الأمل في أن تتغير حياتي وتتبدل لتمتزج بطعم جديد . . بشكل جديد . . برائحة مغايرة غير التي اعتدت عليها . . . . . أم أن هذا الشيء الذي ينتفض داخلي ما هو إلا وخزة ضمير . . رجفة خوف من الله . . دقة على ناقوس الخطر تهتف بي أن "عودي ولا تقدمي ولا تردي . . . "ولمَ أعد . .؟؟

لقد اكتست حياتي ثوب الملل، وطغت عليها صبغة الكآبة، وأسدل عليها ستار الرتابة والتكرار والسأم . نعم أنا فتاة مثالية بشهادة أهلي ووالدي الحنونين . . بشهادة أقاربي وأصدقائي الذين لا أتوانى عن بذل جهدي في مساعدتهم، والوقوف معهم في السراء والضراء . .

أنا مثالية بشهادة مدرستي ومعلماتي . . وما شهادات التقدير المعلقة على الحائط إلا دليل دامغ على ذلك، بشهادة نفسي التي نهيتها عن ارتكاب المحرمات، وصرفتها عن إتيان الصغائر والكبائر، بشهادة نفسي التي كسوتها بلباس التقوى ورداء العفة ووشاح النقاء والطهر . بشهادة نفسي التي عزمت واعتزمت أن أسخرها لخدمة دين الله، وأبذلها سعياً وراء كل طاعة ودحراً لكل معصية . . بشهادة نفسي التي جعلت منها قدوة لزميلاتي حتى أصبحت لديهم الناصح الأمين والمستشار المؤتمن . . بشهادة . . . . . ولكن مهلاً إنه يعاود إرسال رسالة أخرى "أختاه أرجو أن تردي هل تسمحين بأن نتعارف"ما أروع هذه الكلمات . . يبدو لي أن من يرسلها لا يقل التزاماً ومثالية عني . . ولمَ لا؟؟ . . لن أسمح إلا بالحوار

الهادئ الرصين الملتزم في حدود ما أحل الله وبعيدا عن نواهيه . . الاسم . . . السن . . المرحلة الدراسية . . . . . انطفأ الحاسوب وأغلقت أنوار الغرفة . .

ما أروع هذا الحديث الذي دار بيننا . إنه شخصية رائعة ملتزمة رصينة . . لن أنام ليلتي . . أود أن أستعيد كل عبارة . . كل جملة . . بل كل حرف كتبناه معاً . . .

يا له من شعور مبهر باهر رائع . . وأنا أجد من يوافق أفكاري . . ويحمل ذات مبادئي . . ويسترسل معي في هذا الحديث الممتع . . مضت الأيام والأسابيع والشهور . .

رباه لم أعد أحتمل غيابه عني . . لم أعد أطيق انتظار لقائه . . لم أعد أقوى على فراق كلماته . . رباه إلى أين أسير وفي أي الدروب أمشي .؟؟ وكل هذه الساعات التي أقضيها معه ، وأخدع بها أهلي بأني أذاكر وأدرس وأمضي الوقت في مراجعة دروسي . .

دروسي . .!! وماذا عن دروسي ومذاكرتي . .؟؟ ما عدت أذكر منها إلا أشباحاً عالقة في الذهن . . كلما حاولت المكوث أمام كتبي تخطفني الذكريات . . وتحلق بي الآمال وأنا استعيد كلماته كلمة كلمة بل حرفا حرفاً . . وماذا عن أهلي وأقاربي وصديقاتي الذين اعتزلتهم ، وأصبحت أمضي جل وقتي معه . . وماذا عن معلماتي اللاتي . . . . لكن المرة الأخيرة كان حديثه أروع وكلماته أجمل . . وحرارة مشاعره أقوى . . لقد اعترف لي بحبه إنه يحبني ويتعلق بي مثلما تعلقت به . . ولا يطيق فراق الحاسوب للقائي ، لقد طلب مني طلباً غريباً في آخر مرة . . طلب أن يأخذ رقم هاتفي لنتحدث . .

رقم هاتفي . .؟؟ هل هذا معقول . . هل ستسمح لي تربيتي وأخلاقي بهذا . . هل يمكن أن أقدِّم هذا التنازل . . ولكن . . لم لا . .؟؟ أما يمكن أن يقضي هذا على حالة التشتت التي أصابتني ، ويوضح صورة هذا الإنسان المجهول أمامي . . ويقلل من تفكيري به . . سأتصل به أنا لقد أعطاني رقم هاتفه . . لقد حفظته عن ظهر قلب . . . . . ياااه ما أروع صوته ورقة نبراته وعذوبة عباراته . . لن يسعني إلا أن أتصل به وأتواصل معه يوماً بعد يوم . . . اليوم هو يوم لقائي الأول به لقد حدد لي مواصفاته وهيئته . . سأنتظره هنا في هذا المكان العام . نعم إنه مكان عام لا غبار عليَّ في ذلك . . لكني كذبت . . كذبت على أهلي . . كذبت على أمي وأبي لأجد حجة لخروجي . . ادعيت مرض إحدى صديقاتي اللاتي كنت أزورهن وأقوم بواجب صداقتي إزاءهن . . . لقد تبدل حالي . . أكذب

وأخادع وانفرد بنفسي لساعات أصاحب خواطري واستجيب لشهوات نفسي و . . . . أتهرب من صديقاتي وألوذ بالفرار من أعينهن المتسائلة عن تبدل حالي . . وتدهور مستواي في الدراسة . . وفقدي لكافة المراكز التي حققتها في الأنشطة . . تبدل حالي ما عدت أساعد أمي ، وأفر من عيني أبي وأضيق ذرعاً بحديث ونصح أخوتي ، أغلقت باب نفسي دون الجميع وفقدت كل شيء حلو في حياتي . .

لكن وجوده في حياتي له نكهة خاصة . . لقد صدقت كل كلمات الأغاني التي بدأت تثير انتباهي وهم يتحدثون عن اللهفة واللوع والشوق لرؤية الحبيب . . ياه أظنني ألمح شخصاً بنفس المواصفات يبدو لي إنه هو . . فهو يبحث بعينيه في أرجاء المكان إنه هو يرن عليَّ . . قلبي يخفق بشدة . . ترى هل سأعجبه . . هل سيجدني فتاته التي تصورها خياله . . هل سيظل على عهده معي بالحب والمودة . . إنه يقترب . . يقترب . . يقترب . . . . . لكن أين سيكون لقاؤنا القادم . . هل بنفس الشقة التي اعتدنا اللقاء فيها . . .؟؟ لكن كيف سأخرج . . لقد فرغت كل حيلي . . وافتضحت محاولاتي العديدة للكذب والتهرب ، لم يعد لأهلي ذرة من ثقة بي . . خاصة بعد أن ظهرت نتائج الامتحان ورسبت في عدة مواد . . وأرسلت المدرسة كشفا بأيام غيابي التي كنت أخرج فيها لمقابلته . . . . لكني سأحسم أمري معه . . إما أن يتقدم لخطبتي كما وعدني . . وإما . . وإما . . لكن لم يعد ثمة خيار أمامي لقد ضاع مني كل شيء: احترام أهلي وثقتهم بي . . تقدير زميلاتي . . ثناء معلماتي . . تفوقي . . مستقبلي . . بل لقد ذبحت عفتي دون أن تراق نقطة دم واحدة . .!! نعم . . فقدت عفة خواطري التي تلح وتطاردني حتى استجيب لها ، فقدت عفة بصري بعد أن اعتدت النظر إلى ما حرم الله حتى هذه المواقع التي دلني عليها وأصبحت ارتادها حتى أدمنتها ، فقدت عفة سمعي مع أول عبارة حب محرم وأول كلمة عشق آثم ، فقدت عفة جوارحي بعد أن ابتذلتها بين يدي من لا يتقي الله ولا يخافه ، من ابتغاني أداة لمتعته ، ووسيلة لتسليته ، بعدما جعلت من نفسي ألعوبة بين يديه حتى إذا ما ثارت ثائرتي لفعاله وغضبت ، أسكتني بوعد هامس بالزواج . . فقدت عفة ضميري الذي روضته على الكذب والغش والخداع ، واستباحة حرمتي ، وانتهاك كرامة جسدي . . فقدت عفة نفسي وروحي وإحساسي وخواطري بل وحتى أحلام ذاتي . ولكن ماذا بعد . .؟؟ ماذا بعد كل هذا الانحدار الذي لا نهاية له . . إلى أي مدى سأظل أسقط وأسقط وأسقط من وهدة إلى وهدة ، ومن منحدر إلى منحدر . . رباه إنه لا يرد على رسائلي ، ويغلق هاتفه

دوني ، ويتهرب مني بعد أن شعر بإلحاحي في أن يتقدم لخطبتي . . لقد كتب رسالة بعد أيام من مطاردته والبحث عنه يقول لي فيها: لا يمكنني أن أمنح اسمي لإنسانة سهلة المنال مثلك . . هكذا . . أنا أصبحت صفتي وكل ما يذكره من أمري أني إنسانة (سهلة المنال) . . بعد أن كنت الفتاة المثالية . . النموذج المحتذى . . الناصح المؤتمن . . بعد أن كنت مضرب المثل في الخلق والدين والعلم والثقافة أصبحت فجأة (سهلة المنال) . .

نعم لديه حق لقد قادني تفريطي وتنازلي بأن أصبحت هكذا . . من مجرد كلمة كتبت على شاشة الحاسوب إلى مفرطة في أمر نفسها وجسدها وكرامتها . . هكذا وصلت إلى أسفل الدرج وقاع الهاوية . . لقد رحل ليبحث عن ضحية جديدة . . وفريسة أخرى يروى بها ظمأ نفسه العطشى التي تمرست على نصب شباك الحب والعشق لتقع فرائسه تحت وطأة ضعف النفس وعذوبة التجربة وحب المغامرة . .

لقد ذبحت نفسي ألف ألف مرة . . وأنا استجيب له واتبع خطوات الشيطان خطوة بعد خطوة . .

لقد خنتهم خنتهم جميعاً . . خنت أهلي الذين خدعتهم ودنست ثقتهم في التراب . . خنت زوجي - إذا قدر لي الله بالزواج - والذي كان يجب أن يأخذني جوهرة مصونة . . لم تمسها عين ولم تمتد إليها يد ولم يسبقه إليها أحد . . خنت زوجي وخنت فرحتي به إذا جاء . . تلك الفرحة التي ستمتلئ بالخوف والريبة من أن يكتشف أمري ويفتضح سري وتنهار حياتي . . خنت أبنائي الذين مازالوا في رحم الغيب . . كان يجب أن يجدوا لهم أماً طاهرة الحس . . عفيفة الوجدان والشعور والخواطر . . لم تمتلئ ذاكرتها بمرارة ذكريات الذل والزلل وارتكاب المحرمات . . رباااه رحمتك يا إلهي . . هل من أمل أن ألملم شتات نفسي . . واستعيد طهارة روحي وعفاف قلبي .

ابنتي الكريمة.... في غرفة المحادثة لصوص وذئاب!!!

لعل رسالتي هذه إليك تصل بواسطة الوالد العزيز ، أو الأخ الفاضل ، أو الوالدة العزيزة ، أو تقرئينها مباشرة من هذه المجلة . وهي ان تكوني مقتدية ببنات الرسول ﷺ وبنات الصحابة رضي الله عنهم وبالبنات المؤمنات من ذلك الزمان إلى يومنا هذا تقتدين بهن في الإيمان والأعمال الصالحة ، وعلى وجه الخصوص المحافظة على العرض والعفاف والشرف والحياء ، فلا تسمحي لكائن من كان بأن

يتسلق عليك أسواره، أو يخترق عليك جدرانه، بواسطة إلكترونية أو هاتفية أو يدوية أو مقابلة ومواجهة أو سواها.

إنك إن سمحت لأحد من الغرباء (وكل من ليس بمحرم فهو من الغرباء) إنك إن سمحت لأحد من أولئك الغرباء بالدخول إلى حياتك فكأنما تفتحين باب البيت لذئب مفترس هارب من حظيرته، أو حديقة الحيوان.

تخيلي يا بنيتي ذلك الذئب عند باب بيتكم - لا قدر الله - فهل ستفتحين الباب له، لكي يدخل بيت الأسرة ويصبح أفراد الأسرة تحت رحمته، يفتك بهذا، وينهش ذاك، ويهاجم هذا ويقتل ذاك.. هل يعجبكِ ذلك المنظر الرهيب الشديد.

إن الشاب الذي يتسلل إليك عبر غرفة المحادثة في الشبكة المعلوماتية أو عبر الجوال أو الهاتف أو الرسالة أو المقابلة أو سواها إنه ذئب بشري لا همّ له إلا أن يفترس الأخلاق والشرف والعرض، ولا يهمه أن تصيري مخلوقاً مدمراً ضائعاً هالكاً، ولا يهمه أن تهدر سمعة الأسرة وقيمتها الاجتماعية وسعادتها واستقرارها، ولا يهم ذلك الشاب الثعلب الغادر الماكر إلا تحقيق رغبته الجسدية الحرام، مهما تفوه بالكلمات الرقيقة والعبارات العاطفية، ومهما أقسم بأغلظ الأيمان أنه يريد التعارف والزواج.. فأولئك لصوص لا يظهرون في النور وإنما هم خفافيش لا يعيشون إلا في الظلام، وكثيراً ما صرح المثيرون من التائبين منهم أنهم لا يمكن بحال من الأحوال أن يقترن الواحد بفتاة غبية جاهلة ذات تربية سيئة، تلك التي تسمح للغرباء أن يدخلوا حياتها ولو بالهاتف فقط.

واعلمي أنك - يا بُنيتي - إذا منحت فرصة لذلك الذئب البشري أن يحادثك ويكلمك إلكترونياً أو هاتفياً أو شخصياً فاعلمي أن تلك الفرصة ستشجعه تشجيعاً عظيماً على المضي قدماً في سبيل الحصول على ما هو أكثر وسيجن جنونه، ويستخدم معك كل ما يستطيع من وسائل الخداع والإغراء حتى يظفر منك بمقابلة ولقاء، فإذا تم ذلك فإنه خلال ثوان وليس دقائق ستجدين نفسك كالخروف بين يدي الجزار الشديد، فماذا يملك الخروف لنفسه بين يدي الجزار؟ وماذا يستطيع أن يفعل؟ وهل له أي حيلة في الدفاع عن نفسه؟ ولا أظنك - يا بنيتي - إلا قد شاهدت مرة وأكثر موقف الخروف عندما يمسك به الجزار للذبح والسلخ.. إلا أن الفرق أن ذلك الجزار قد يكون متقرباً إلى الله بالأضحية أو إكرام الأهل أو الضيف أو كسب الرزق.. بينما ذلك الشاب المنحرف - قاتله الله - يتقرب إلى الشيطان

الرجيم بإغواء بنات المسلمين ونسائهم وذبح شرفهم وأعراضهم هذا الشاب منحرف لأنه استخدم عقله وعلمه وذكاءه وصحته استخداماً سيئاً . . لم يشكر الله على نعمة العقل والعلم والذكاء والصحة فيستخدمها في طاعة الله بدلاً من المعصية ، وفيما ينفع إخوانه المسلمين بدلاً مما يؤذيهم ويضرهم وهو منحرف لأنه لم يعمل بقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [1] لا بقول الرسول ﷺ : «احبَ لأخيكَ ما تحب لنفسكَ» .

فمهما كان وضعه لا يمكن أن يرضي أن يأتي شخص غريب فيعمل مع شقيقته أو أمه ما يفعله هو مع بنات الناس . إنك - يا بنيتي - المسؤولة الأولى والأخيرة عن نفسك ومسؤولة عن أسرتك . فبإمكانك أن تغلقي الباب دون أولئك الذئاب التي تخنق ولا تأكل ، فتسلمي ويسلم دينك وشرفك . وتسلم أسرتك وسعادتها وشرفها . بإمكانك أن تكوني فتاة متعقلة ذكية حازمة . وبإمكانك أن ترتكبي المعصية والإثم وتسلكي الطريق الوعرة التي ستؤدي بك إلى المشكلات الكبيرة والمصائب الخطيرة التي ستجعلك تفكرين أو تقدمين كما فكر واقدم غيرك تحت وطأة الفضائح والمشكلات الشديدة من الفتيات الجاهلات الغبيات المنجرفات على الانتحار وقتل النفس الذي قال الله سبحانه بشأنه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً﴾ وينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ . وروى الترمذي عن جابر بن سمرة أن رجلاً قتل نفسه فلم يصل عليه النبي ﷺ . وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**الذي يطعن نفسه إنما يطعنها في النار، والذي يتقحم فيها يتقحم في النار والذي يخنق نفسه يخنقها في النار**» . وروى أيضاً عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «**من تحسا سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديده فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبداً**» .

إنك - يا بنيتي - إن استجبت لتلك الذئاب البشرية فإنك بالإضافة إلى تلك المغامرات المجنونة البشعة فإنك تمارسين كبيرة من أشد الكبائر . تلك هي عقوق الوالدين ، حيث تضعينهما في أزمة حقيقية طاحنة تقلقها أشد القلق ، وتشعرهما بالفشل الذريع في تربيتك

(١) النور: ٣٣ .

وتنشئتك ، وتخيفهما اشد الخوف على سمعتهما وشرفهما . ذلك الذي كان يدفع العرب في الجاهلية إلى ممارسة عادة وأد البنات خشية العار ، قد يدعو عليك الوالد أو الوالدة بدعوة في لحظة تأزم وشدة فربما شقيت بها مدى الحياة . وقد قال الرسول ﷺ (ثلاثة لا ترد دعوتهم) وذكر منها دعوة الوالد ،ولده فحذار حذار يا بنيتي[1]!

الشات وخطره "قصص وعبر":

إن الإنترنت وسيلة جميلة جدًا ومفيدة لمن يستخدمها خير استخدام ؛ لأنه سلاح ذو حدين ، فمن استخدمه في الخير فجزاه الله خير الجزاء ، ومن استخدمه في الشر ، فأسأل الله أن يجازيه بما يستحق .

فقد شاع في أيامنا هذه مشكلة الشات ، ونرى كثرة وقوع الفتيان والفتيات في الشراك الذي نصب لهم من أعداء الأمة ، بأن يجعلوا الشباب هدفهم الأساسي هو التحدث مع الجنس الآخر أن يجعل كل جنس ينال إعجاب الجنس الآخر ، ولا يبالي إذا كان هذا عن طريق حرام أم حلال ، المهم عنده أن يشبع غرائزه الشيطانية ، ولم يقتصر ذلك فقط على الفتيات الغير متزوجات ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد أن تنجرف المرأة المتزوجة والذي يفترض بها أن تكون أصبحت ناضجة وعاقلة ، نجدها وللأسف الشديد تنجرف وراء وساوس إبليس اللعين ، ويصل بهن الحد إلى كره ما أحل الله لهن ويزين الشطان لهن حتى يرين أن السعادة مع ذلك الشخص الذي تعرفت عليه عن طريق الشات - عفانا الله وإياكم .

هذه القصة عندما قرأتها لم أتمالك نفسي وبكيت من شدة الحسرة التي شعرت بها على هذه الأمة ، التي تنزلق وراء شهواتها - إلا ما رحم ربي - وهذه قصة واحدة وما خفي كان أعظم ، وهذا هو ونقرأ في ثنايا القصة أنها تعلمت طريقة التصفح على الإنترنت عن طريق صديقاتها ، إذًا فإن صديقاتها كن رفيقات سوء لها ، إذًا الصحبة الصالحة لها دخل كبير جدًا في التوجيه الصحيح للأبناء والبنات . أين أنتم يا أولياء الأمور؟!!! . أين أنتم من أبنائكم وبناتكم؟!!! .

اتقوا الله فيهم ، فهم أمانة في أعناقكم ، وستسألون عنهم يوم القيامة!! .

ألم تقرءوا حديث رسول الله ﷺ الذي جاء في صحيح البخاري حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا

---

(١) د . حمدان بن محمد الحمدان مجلة الدعوة / العدد ١٩٠٢ / بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٤ يوليو ٢٠٠٣ م/ بتصرف .

عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْأَمِيرُ رَاعٍ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، أين الغيرة في قلوبكم؟!!!.

لماذا تدمرون أبناءكم وبناتكم بترك وسيلة مثل الإنترنت في أيديهم دون توعية؟!.

لماذا تلقون بهم إلى الهلاك؟!.

- والعياذ بالله - الأب يهمل أولاده بحجة أنه يبذل جهدًا كبيرًا في العمل لكي يأمن المستقبل لهم.

والأم منشغلة إما في عملها وإما تتسامر مع صديقاتها عن طريق الهاتف أو عن طريق الزيارات الكثيرة ،وإذا أمعنا النظر نجد أن مثل هؤلاء الشباب ترعرعوا في منزل مثل هذا الذي ذكرت ، وبالطبع بعيد عن التدين كل البعد. الأم والأب يهملون أبناءهم وبناتهم لذا نجدهم يتوجهون إلى الإنترنت لتنفيس ما لديهم مع أصدقاء السوء في ما يسمى بالشات دون رقابة فالملام هنا الأباء والأمهات وليس الأبناء - والله المستعان - .

نسأل الله العلي القدير أن يصون شباب الأمة عن عمل المعصية ، وأن يحمي بناتنا من الانجراف وراء الشهوات[١].

الغناء في سطور:

* قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢] هو الغناء وَاللَّهِ الذي لا إله إلا هو ويرددها ثلاثا[٣].

* قال رسول الله ﷺ : «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرى والحرير والخمر والمعازف**»[٤].

* **قال أبو بكر الصديق:** " الغناء والعزف مزمار الشيطان ".

* **قال أصحاب الإمام أبي حنيفة:** " استماع الأغاني فسق والتلذذ بها كفر ".

---

(١) محمد إبراهيم الغباشي .

(٢) (٦) سورة لقمان . قال ابن مسعود في هذه الآية: .

(٣) [تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤١].

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ١٠/ ٥١ .

* **قال الإمام أحمد:** " الغناء ينبت النفاق في القلب " .

* **قال الإمام القرطبي:** الغناء ممنوع بالكتاب والسنة:

* **قال الإمام ابن الصلاح:** " الغناء مع آلة ، الإجماع على تحريمه " .

* **قال ابن القيم رحمه الله:** " الغناء بريد الزنا "

أخيتي المسلمة . .

يا من تحب الله ورسوله نقول لك: " **فماذا بعد الحق إلا الضلال "؟!**

فتـــوى:

مـا حكـم اسـتماع الموسيقى والأغاني ، ومما حكم مشاهدة المسلسلات التي يتبرج فيها النساء؟

ج - اسـتماع الموسـيقى والأغانـي حرام ولا شك في تحريمه ، وقد جاء عن السلف من الصحابة والتابعين أن الغناء ينبت النفاق في القلب واستماع الغناء من لهو الحديث والركون إليه وقـد قـال الله تعـالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ سورة لقمان .

قـال ابـن مـسعود في تفـسير الآيـة: " والله الـذي لا إلـه إلا هـو إنـه الغـناء " وتفـسير الـصحابى حجـة وهـو في المـرتبة الثالـثة في التفـسير لأن التفـسير لـه ثـلاث مـراتب: تفـسير القـرآن بالقـرآن ، وتفـسير القـرآن بالـسنة ، وتفـسير القـرآن بأقـوال الـصحابة . حتـى ذهـب بعـض أهـل العلـم إلى أن تفـسير الـصحابي لـه حكـم الـرفع ، ولكـن الـصحيح أنـه لـيس لـه حكـم الـرفع ، وإنمـا هـو أقـرب الأقـوال إلى الـصواب . ثـم إن الاسـتماع إلى الأغانـي والموسـيقى وقـوع فـيما حـذر مـنه النـبي ﷺ بقـولـه: «**لـيكونن أقـوام مـن أمـتي يـستحلون الحـرى والحرير والخمر والمعازف**» يعـني يـستحلون الزنا والخمـر والحريـر وهـم رجـال لا يجـوز لهـم لـبس الحريـر والمعـازف هـى آلـة اللهو [رواه الـبخاري مـن حـديث أبـي مالـك الأشـعري أو أبـي عامـر الأشـعري] وعلـى ذلـك فإن أوجـه النـصيحة إلى إخوانـي المـسلمين بالحـذر مـن سمـاع الأغانـي والموسـيقى ، وألا يغـتروا بقـول مـن قـال مـن أهـل العلـم بإباحـة المعـازف فالأدلـة علـى تحـريمه واضـحة وصـريحة ، وأمـا مـشاهدة المسلـسلات الـتي بهـا النـساء فإنهـا حـرام مادامـت تـؤدي إلى الفتـنة بالمـرأة والمسلـسلات كلـها غالـبها ضـارة حتـى وإن لم يـشاهد فـيها المرأة أو تشاهد المـرأة الـرجل لأن أهـدافها في الغالـب ضـرر علـى المجـتمع في سـلوكه وأخلاقـه . . أسـأل

الفتنة بالمرأة والمسلسلات كلها غالبها ضارة حتى وإن لم يشاهد فيها المرأة أو تشاهد المرأة الرجل لأن أهدافها في الغالب ضرر على المجتمع في سلوكه وأخلاقه . . أسأل الله تعالى أن يقي المسلمين شرها وأن يصلح ولاة أمور المسلمين لما فيه إصلاح المسلمين . . والله أعلم[١] . أهـ .

ابحثي عن البديل:

أختي الكريمة: أود أن أسأل سؤالاً مهماً كيف أعمل فيما يتبقى لدي من الوقت لي ولأبنائي؟

- إن منع هذا الجهاز الفاسد المفسد من بيتك ليس بالأمر السهل ولكن الأصعب أن تعالجي الأضرار بعد وقوعها وأن تستخرجي الأدواء بعد استفحالها ، وليكن زادك في ذلك الصبر والمصابرة والدعاء والتضرع إلى الله بأن يعينك في مهمتك في درء هذه المفسدة العظيمة ووقاية بيتك وأبنائك من شرها وأوصيك بأن تضعي نصب عينيك قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لـه مَخْرَجًا ﴾[٢] وقول النبي ﷺ : «**من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه**» .

وتستطيعين يا عزيزتي تعويض أبنائك بما هو خير البدائل كالأفلام والأشرطة الإسلامية المرئية والمسموعة وكالألعاب المباحة والمسابقات المفيدة والمتنوعة وكذلك أجهزة الكمبيوتر العصرية وغيرها . .

كما لا يفوتني أن أذكرك بأمر هام فيه خير عظيم ، ألا وهو إلحاق الأبناء بمدارس تحفيظ القرآن الكريم ، والمراكز الصيفية وقت الإجازات فلئن ينشأ أبنائك على حب القرآن خير لهم من أن ينشأوا على حب الفحش والغناء .

وبذلك تأكدي أنه لن يبقى في وقتهم فراغ بعد ذلك وأنت كذلك يا أختي: لا تحرمي نفسك من الأجر والثواب العظيم في مجالس الذكر التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة ويذكرها الله فيمن عنده وها أنت ترين أن دور تحفيظ القرآن الكريم الخاصة بالنساء أصبحت منتشرة في كل مكان ولله الحمد .

أختي الكريمة: ولكن أطفالي الصغار ماذا أفعل بهم؟

يمكنك أن تضعيهم عند أهلك وما هي إلا ساعة زمان وتعودين إليهم وانظري كم من الساعات تضيع علينا ولا نحسب لها حساباً أو يمكنك أن تضيعهم في الحضانة التابعة للدار

---

(١) (فتوى الشيخ ابن عثيمين من كتاب فتاوى المرأة ص ١٠٦ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية: ٢ .

نفسها إنه فضل عظيم من الله فماذا نريد بعد ذلك؟!

وتأكدي بأنك لن تعرفي النور إلا معهم ولن يكون لحياتك قيمة إلا بهم واسألي - إن شئت - من جرب قبلك كيف ندموا على أوقاتهم التي أضاعوها بدون كتاب وكيف انتظمت أوقاتهم وتباركت أعمالهم بعد أن ساروا في طريق الله وليكن الإخلاص والصبر زادك .

ولك مني دعوة صادقة:

بأن يوفقك الله لكل خير وينير دربك ويسدد خطاك ويبارك فيك وفي أعمالك ويصلح لك النية والذرية إنه سميع مجيب ولكل أخت سارت على دربك دعوات صادقات بالنصر والثبات .

أختاه... حاسبي نفسك:

قد لا يخفاك يا أختي الكريمة أن النساء أكثر أهل النار كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولعل ذلك بسبب اتباعنا لأنفسنا وأهوائنا ، وميلنا إلى الدنيا والتزين لها ، وقلة محاسبتنا لنفوسنا .

إن النفس أمارة بالسوء كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾ سورة يوسف وهي بطبيعتها تميل إلى الشهوات واللذات ولذلك تحتاج منا إلى محاسبة دقيقة ومجاهدة قوتة . .

نسائلها دوماً: لم فعلت ذا؟! ولم تركت ذاك؟!

ألا تتقربين إلى الله؟! ولماذا لا ترجين النجاة؟!

يا نفس ألا تخافين من النار؟!

وإذا كنت تخافين فلم تعصين؟! وعن طريق تبعدين؟!

هل تريدين النعيم والخلود؟! أم تريدين الفناء والزوال؟!

هل الدنيا أحق بالاهتمام أم الآخرة؟!

يا نفس ، أليس لك في الموت ذكرى؟! أليس لك فى غيرك عبرة؟! متى تصحين من الغفلات؟! وتعودين لخالق الأرض والسموات؟! يا نفس اصبري عن هذه المحرمات تنالي رضى ربك والفوز بالجنات .

يا نفس لك أرجو النجاة فهيا سارعي للخيرات .

الطريق إلى محاسبة النفس:

١ - نحاسبها أولاً على الفرائض هل هي كاملة أم لا فإن كان فيها نقص تداركناه بالقضاء أو بالإصلاح .

٢ - ثم نحاسبها على ما نهانا الله فإن ارتكبنا شيئاً منها نتداركه بالتوبة والاستغفار ونتبعها بالحسنات الماحية .

٣ - ثم نحاسب أنفسنا على الغفلة ، فإن وجدنا أنا قد غفلنا عما خلقنا الله له تداركنا ذلك بالذكر والإقبال على الله تعالى .

٤ - ثم نحاسب النفس أخيراً بما تكلمنا به أو مشت أرجلنا إليه أو بطشت أيدينا به أو سمعته آذاننا أو رأت أعيننا إليه .

المحرم يقيك المغرم "بإذن الله":

إن مما أمرنا الله تعالى به في كتابه العزيز غض البصر عن النظر إلى المرأة الأجنبية عنا ، مثل بنت عمنا وبنت خالنا وغيرهن من النساء ممن هن لسن لنا بمحارم: "فإن ذوات القربى التي يصح لنا زواجهن لسن بمحارم" . قال تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم .

وكذلك أمر الله تعالى النساء بغض النظر إلى الرجال الأجانب عنهن ، قال تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن .

وما ذلك الأمر إلا لأن النظر رسول الفتنة وبريد الفساد ، وقال شاعر

كل الحوادث مبدؤها من النظر ::: ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ::: أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ::: فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ::: لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وفي القصة التالية سترى كيف رأى أحد الرجال امرأة تطوف ببيت الله الحرام فأعجبته ؛ فلم يغض بصره عنها ، بل استرسل في النظر إليها وحاول التكلم معها ، ولكنها راقبت الله تعالى واجتهدت في صده عن غيه .

جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى ما نصه: "بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف بالبيت فأعجبته ، فسأل عنها فإذا هي من البصرة ، فكلمها مراراً فلم تلتفت إليه ، وقالت: إليك عني فإنك في حرم الله ، وفي موضع عظيم الحرمة .

فلما ألح عليها ومنعها من الطواف أتت محرماً لها ، وقالت له: تعال معي أرني

المناسك، فحضر معها، فلما رآها عمر بن أبي ربيعة عدل عنها، فتمثلت بشعر الزبرقان السعدي:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ::: وتتقي مربض المستأسد الضاري

فبلغ الحاكم خبرهما: فقال: "وددت أنه لم تبق فتاة في خدرها إلا سمعته".

تنبيه:

ولأهمية وجود المحرم كالابن والأخ والأب وابن الأخ وابن الأخت والعم والخال مع المرأة في بعض الحالات لئلا تعدو عليها الذئاب نجد أن النبيﷺ أمر المرأة بأن تجعل معها محرماً في حالتين:

الأولى: إذا أرادت أن تختلي بأجنبي عنها.

الثانية: إذا أرادت أن تسافر.

جاء في الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول اللهﷺ قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**»[1].

وجاء في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها**»[2].

وفي رواية: "مسيرة يوم"، وفي أخرى: "مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو حرمة منها".

وكل امرأة لا تلتزم بالتوجيه النبوي الوارد في الحديثين أعلاه لتكن على علم بأنها عاصية لله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وتجب عليها التوبة والرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، فإن الموت يأتي بغتة.

نسأل الله السلامة والعافية مما يحدث اليوم بين ظهرانينا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أتعرفين من تعصين!!:

* إذا سولت لك نفسك معصية فتذكري من ذا الذي تعصينه إنك تعصين خالق

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم.

السموات والأرض، من لـه الملك كله، من لـه الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة . .

من إذا أراد شيئاً قال لـه كن فيكون سبحانه وتعالى .

* إن الله عظيم ونحن ضعفاء . . إن الله غني . . ونحن فقراء .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[1] .

"ومـا الـسموات الـسبع في الكرسـي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض " .

* إنـه تعـالى غـني عـنا وعـن عبادتـنا ولـو كنا جميعاً أتقياء أنقياء ما زدنا في ملكه شيئاً "ياعـبادي إنكـم لـن تـبلغوا ضـري فتـضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكـم وآخـركم وإنـسكم وجـنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكـي شـيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحـد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قامـوا في صـعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يـنقص المخـيط إذا ادخـل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " .

* إن لله ملائكـة لا يحـصي عددهم إلا هو سبحانه وتعالى ، يسبحونه بالليل والنهار لا يعـصونه طرفة عين ، يطوف بالبيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى .

إن ملكاً من ملائكة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وقد أذن لنبينا عليه صلوات الله وسلامه أن لمجذث عن ملك قدميه في الأرض ورأسه تحت العرش .

فمن نكون نحن الفقراء الضعفاء حتى نعصيه ونخالف أوامره؟!

ومـن المستفيد من الطاعة والعبادة؟! بل ومن الخاسر بالمخالفة والمعصية؟! أما آن لنا أن نفقه قول الله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[2] .

تذكري يوماً عظيماً!!!

يوماً تشيب لهوله الولدان الذين لم يقترفوا ذنباً قط فكيف بمن يقارف الذنوب والمعاصي

---

(١) (٢٥٥) سورة البقرة .

(٢) (٧) سورة الإسراء .

بالليل والنهار . . تذكري ذلك اليوم يوم يختم على فيك ويقال لأركانك انطقي فتنطق بأعمالك فليت شعري بم ستنطق عينك وهي تنظر للحرام ، وبم ستنطق أذنك وهي تسمع للغناء ، وبم ستنطق يدك وهي تقلب تلك القنوات؟!! ستقف جميعاً بين يدي الجبار فيسألنا عن كل صغيرة وكبيرة ترى ماذا سنقول وأيما جواب سنجيب إذا سألنا عن عمرنا فيما أفنيناه؟!

أنقول: أمام الدش والتلفاز ذهبت أوقاتنا يا رب!!

أفي النظر في وجوه المومسات!!

وفي متابعة الأغاني والمسلسلات!!

وفي مشاهدة الأفلام والمباريات والدعايات!!

وفي عرض الأزياء والموضات!!

هكذا يارب قضينا أكثر الأوقات!!

تباً لما كان هذا جوابه . . وخسراً لمن هذا مآله وحاله .

هل تطيقين النار؟!:

لا والله يا أختي لا تطيق النار لحظة ، وها أنت ترين قلة صبرنا على لسعة من نار الدنيا فكيف بنار الآخرة ، التي فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها .

تعالي معي لنقف على بعض الآيات والأحاديث في وصف جهنم وأهلها أعاذنا الله وإياك منها:

١ - يقول الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[1] إنها نار عظيمة تأكل كل شيء لا تبقي ولا تذر ، تحرق الجلود ، وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطون وتطلع على الأفئدة لا تنطفئ ولا تخبو مع الأيام ، قعرها بعيد وحر شديد وماؤها الحميم يصب فوق رؤوس الكافرين ولشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم وظلها اليحموم (قطع الدخان) وقودها الناس والحجارة أهلها خالدون فيها أبداً لا يرحلون ولا يبيدون ولا يموتون ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم

(١) سورة الحج ١٩ - ٢٠].

مِّنْ عَذَابِهَا﴾[١] .

٢ - قال رسول الله ﷺ: «**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**» . وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً**» وفي رواية مسلم والترمذي: «**مسيرة ثلاث**» ، «**وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**»[٢] وهذا التضخيم لصورهم ليكون أبلغ لهم في التعذيب .

٣ - قال عز وجل: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[٣] .

إذاً هذا هو طعام أهل النار يأكلون من شجرة الزقوم وهي شجرة خبيثة جذورها تضرب في قعر النار قبيحة المنظر كأنها رؤوس الشياطين ومع ذلك لا يجد أهل النار طعاماً غيرها فيأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم فإذا امتلأت أخذت تغلي في أجوافهم فيتألمون لذلك ألماً شديدا فيندفعون إلى الحميم ذلك الماء الحار الذي بلغ منتهى الحرارة فيشربون منه كشرب الإبل التي تشرب وتشرب ولا ترتوي لمرض أصابها وعند ذلك يقطع الحميم أمعائهم وقد صور لنا الرسول ﷺ شناعة الزقوم وفظاعته فقال "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه " .

٤ - أما أهون أهل النار عذاباً فقد قال عنه ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**» .

٥ - أما حالهم فهم في بكاء وعويل وندم شديد يبكون حتى تنتهي الدموع ويتمنون الرجوع ولكن هيهات قال ﷺ: «**يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ولو ارسلت فيه السفن لجرت**» .

بسمة: نسأل الله أن يعيذنا من النار وأهلها وأن يبعدنا عنها فوالله إنا لا نطيقها ولا نصبر على حرها وعذابها ، وكم نحن بحاجة لمن يذكرنا ويخوفنا ويعظنا وينبهنا فالقلوب قاسية والنفوس لاهية والدنيا غرور .

---

(١) (٣٦) سورة فاطر .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) [سورة الواقعة ، الآيات: ٥١ - ٥٦] .

وسائل وبرامج مقترحة لصد الهجوم على المرأة:

- فضح دعاة تحرير المرأة وأساليبهم .
- استغلال أماكن التوجيه المقامة (جمعيات ، منابر ، مدارس . . .) لتوجيه المرأة وتعليمها وتثقيفها .
- إعداد ووضع البرامج الأسرية .
- طرح حلول لمشاكل المرأة في المجتمع من الوجهه الشرعية .
- فضح أماكن الفساد (منتزهات ، كوافير ، مقاهي انترنت . . .) .
- إيجاد وسائل بديلة لتوعية النساء .
- السعي في إعداد بعض القيادات النسائية من الخيرات للرد على دعاة الفساد (فكلمة المرأة أقوى تأثير من كلمة الرجال فيما يخصها) .
- ربط النساء بالقدوات الصالحة من السلف الصالح .
- نشر الأنظمة والقرارات التي تمنع تجاوزات النساء .
- فضح المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة والتوصيات الصادرة منها .
- فضح المعاهدات التي تتم بين الدول حول موضوع المرأة . . .
- رصد جميع الدعاوى لتحرير المرأة وإفسادها في هذا البلد والرد على جميع من يدعون إلى تغريب المرأة المسلمة .
- تنويع أساليب الرد وجمع الحشود ضد دعاة التغريب .
- إيجاد بدائل إعلامية للمرأة .
- إعداد ملفات متكاملة عن وضع المرأة في هذا البلد وما يراد منها وتوزيعه على المشايخ وطلبة العلم وأهل الغيرة .
- المبادرة بأطروحات تحافظ على مكانة المرأة وتبعدها عن الفساد .
- إيجاد البدايل المكانية للأسر .
- ستصدار فتاوى شرعية مسبقة لبعض الأمور التي يخشى أن تقع في المستقبل .
- إيجاد متخصصين في الدراسات الاجتماعية .
- السعي في إبراز قيادات اجتماعية مؤثرة .

obeikandl.com

- تقديم النصيحة لأهل الباطل .
- ربط الناس بالله وبالمحكمات .
- تعليم الأسر وتفيعل دورهن في الدعوة إلى الله .
- استغلال الوسائل الإعلامية (خاصة الانترنت ، وخاصة مواقع الناس في الدعوة إلى الله وفي فضح أهل الفسادوأعمالهم) .
- جمع الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة والرد عليها بدراسات محكمة .
- إيجاد بعض الكتاب يتحققون في الكتابة عن المرأة .
- إيجاد مدارس ومحاضن تربوية أو كليات وجامعات .
- توعية الداعيات بما يراد من المرأة .
- طرح الفروق الفردية بين النساء .
- إظهار الأرقام عن واقع المرأة الغربية وتحللها .
- إيجاد مركز معلومات عن المرأة .
- توجيه الدعوة الأسرية في القبائل والأسر الكبيرة .
- احتساب الأجر في الأنكار على دعاة تحرير المرأة .
- توجيه نساء الخيرين لأعمال البر .
- اكتشاف الطاقات النسائية .
- دعم المجالات النسائية الجيدة .
- تفعيل النساء في المجال الاجتماعي .
- الاهتمام بنساء النخبة .
- اهتمام كل فرد بأسرته .
- إقامة المخيمات الدعوية (القسم النسوي) .
- التوسع في فتح دور التحفيظ .
- الدخول في الجمعيات النسائية .
- تجهيز خطب وتقارير في مواقع الخطباء .
- التواصل مع أهل الخير الغيورين المؤثرين للإنكار .

obeikandl.com

- ❋ الزواج المبكر .
- ❋ السعي في تمكين الطيبات من الأعمال الإدارية النسائية .
- ❋ إيجاد مراكز اجتماعية متخصصة .
- ❋ السعي في وجود قيادات شرعية نسائية .
- ❋ الاستفادة من بعض الكاتبات الجيدات في الصحف .
- ❋ نشر إحصائيات مخيفة عن حالة الغرب وأثر انحلال المرأة في انهيار المجتمع .
- ❋ فتح مواقع في الانترنت خاصة بلامرأة وتوجيهها .
- ❋ دعم المجلات والصحف النسائية الجيدة ونشرها .
- ❋ استغلال أوقات الفراغ ببرامج ومشاريع دعوية .
- ❋ مخاطبة الفطرة وإبرازها .
- ❋ نشر اعترافات تائبات وعاملات وموظفات في الدول الإسلامية .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

obeikandl.com

خاتمة الكتاب

وأخيراً... أختاه:

لقد أعطى الإسلام للمرأة قيمة عظيمة لم يعطها أي دين سابق ولا شريعة ولا قانون أرضي فهي لها القيمة المادية العظمى المتمثلة بالذهب كما لها القيمة الاعتبارية الجليلة إذ أنها تربي الأجيال وتحفظ النسل فهى تمثل العمود الفقري في الحياة.

ومثلها كمثل الدرة المحفوظة في لوح زجاجي يمنع لمسها إلا لصاحبها.

وعلى هذا الأساس تآمر الغرب على المرأة في أمتنا وأوهموا ضعيفات.

الإيمان بأن نزع الحجاب ولبس اللآلئ والتزين والسفوروالإتكيت والموضة ومعارضة الوالدين كل ذلك من باب التحضر، كما أوهموها بأن ضرورة إيجاد الحبيب لهن هو من دواعي الشخصية الحديثة المتطورة والإستقلال في التفكير وأن الخلق والحشمة والتصرف السليم المبني على الشريعة.

والدين في كل مجالات الحياة هو من دواعي الرجعية والتخلف.. إلا ساء ما يحكمون.

وقد قال مسؤول غربي: لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن!

أي لن يستطيع الغرب الحاقد السيطرة على الشرق المسلم حتى تزيح المرأة المسلمة الحجاب عن وجهها.

وتنبذ كتاب الله وراء ظهرها، وهذا ما أرادوه لنسائنا ومجتمعاتنا واستجاب لهم الكثيرون مخدوعين.

تارة ومقلدين تارة أخرى بينما رفض هذه العولمة القديمة النساء المؤمنات والعوائل المحافظة.

ولهؤلاء المساكين المقلدين نقول: إنكم بهذا اشتركتم ليس فقط في جريمة إغضاب رب العالمين.

وترك الشرع الحنيف وإنما أصبحتم مشتركين في جريمة هدم مابنته أجيال وأجيال من خلق عظيم وتعاليم سامية ودفعت بسببه دماء زكية طاهرة كثيرة على مدى أكثرمن ١٤٠٠ عام!!

obeikandl.com

أختـــاه:

احذري على دينِك ، وعلى عقلِكِ ، وعلى أخلاقِكِ ، وعلى مبادئكِ العقَديّة ، واحذري مِـن أن تكوني مُشاركةً ، أو موافِقةً في أيٍّ مُنكرٍ قوليٍّ أو عمليّ ، وقدّمي رِضا اللهِ على رِضا الـنّاس ، واحرِصي أن تجعلي من حُبِّكِ للهِ ، وحُبِّكِ لما يُحِبُّهُ ويرضاه ، دافِعاً ، ووسيلةً لتغيير هـذا الواقـعِ لِيـتَوَافَقَ مـع هـذه المحبّة ، فتسْعدِي حينئذٍ ، ويَسْعَدَ مُجْتَمَعُكِ سعادةً حقيقيّةً في الدّنـيا والآخِـرة ، إنّهم ، يا رعاكِ الله ، يريدون أن يجعلوا مِنكِ مِعْوَلَ هدْم ، فكوني يَدَ بِناء ، وأبشري بعد ذلك بالفلاح . . . . . .

تأمّلـي طـويلاً في واقِـعِ حـياتِكِ مِـن خِلال ما قرأتى اسال الله أن ينفعنا بما علمنا ،وأن يعلمـنا مـا ينفعنا ، فإنّ العُمُرَ يمضي بسُرْعة . . فلا تدَعِيهِ يمضي وأنتِ مِنه في غفْلة ، والموتُ يأتي بغْتة ، فاستعِدّي لـه مِن هذه اللحظة . . ، أسأل اللهَ تعالى أن يهدِيَنا جميعاً سبُلَ السّلام ، وأن يُخرجَنا مِن الظُّلُماتِ إلى النّور ، وأن يقِيَنا شرَّ كُلِّ ذي شرٍّ ، وأن يُثبِّتَنا وإيّاكِ على الهدى حتّى نلقاه ، إنّه سميعٌ قريبٌ مُجيب . . . . . آميـــــن .

تم بحمد الله

* * * * *